قضايا تهم المرأة ①

ضوابط الإنفاق في البيت المسلم

بقلم

خولة درويش

دار الحميدي

ضوابط الإنفاق في البيت المسلم

قضايا تهم المرأة ①

ضوابط الإنفاق في البيت المسلم

بقلم
خولة درويش

دار الحميدي

ⓒ دار المحمدي للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

درويش، خولة عبد القادر.

ضوابط الإنفاق في البيت المسلم - جدة.

١٧٢ ص، ١٧ × ٢٤ سم.

ردمك: × - ٦٤ - ٧٥٢ - ٩٩٦٠

١ - النظام المالي في الإسلام أ - العنوان

ديوي ٢، ٢٥٧ ٢١/٢٤١٤

رقم الإيداع: ٢١/٢٤١٤

ردمك: × - ٦٤ - ٧٥٢ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

الناشر

دار المحمدي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

جدة - حي الجامعة - شارع عبد الله السليمان

هاتف: ٦٨٩٧٥٠٩ - تاخوخ ٦٨٠٢٦٠٤

ص.ب: ٩٣٤٧ - جدة ٢١٤١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

(إن فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف، واسعة الأرجاء والأكناف، ولكن الأموال من أعظم فتنها، وأطم محنها، وأعظم فتنة فيها: أنه لا غنى لأحد عنها. ثم إذا وجدت فلا سلامة منها.، فإن فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً. وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسراً)[1].

ولو تطلعنا إلى كثير من المشاكل الاجتماعية لوجدنا أن من أسبابها الرئيسية المال، الطمع فيه، والحاجة إليه، التمسك به والحرص عليه... وفي كل مرة تكون المشاكل بسبب الشره والطمع والجشع، أو البخل والشح والحرص.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي، الجزء الثالث ٣٥٩.

كما وأن كثيراً من النسوة يفهمن الحضارة على أنها في وفرة المواد الاستهلاكية وكثرة الحلي والزينة والتفنن في ألوان البذخ والترف. . .

وما يدرين أن تلك المظاهر الواهية ـ حتى في قاموس الحياة الدنيا ـ إنما هي من ثمار الحضارة لا من مقوماتها، ولا يعتبر من كانت عنده ـ بالضرورة ـ متحضراً!

وإذا أخذ في الحسبان أن كبرى المشاكل تكون من قلة الإنتاج وزيادة الاستهلاك. عرفنا أي مخاطر يسببها إنفاق المرأة الخاطىء وعدم ترشيد الإنفاق. . .

ومع اهتمام العالم بالاقتصاد، فقد صب أعداء الإسلام جلّ اهتمامهم على إفساد المرأة المسلمة على وجه الخصوص. وحاولوا جعلها مطية لمآربهم، ليحطموا المجتمع الإسلامي بإفسادها.

تلفت حولي فلم أجد إلا القلة النادرة التي تضع المال في مواضعه، وتنفقه فيما ينفع، ولا تندم على ذهابه بالوجه الشرعي!

ولو سئلت كل امرأة عن تصرفاتها المالية، لكانت في غاية القناعة عن سلامة منهجها، وصحة تصرفها، وكمال بصيرتها!

هذا رغم ما تعاني أسرتها من مشكلات مالية. . . وما تقاسيه بلادها من أزمات اقتصادية، فبلادها التي تزخر بثروات جمة توصم بعد ذلك بالتخلف المقيت!

ما كان لنا أن نبقى سلبيات ونحن نرى الفهم المغلوط للرقي والحضارة. والتصرف الخاطىء في إنفاق ما يجتهد الناس لجمعه، ويقلقون لزيادته، ومن ثم ينفقونه بلا حساب ولا تفكير.

وحيث أن المرأة عنصر أساسي في كل إصلاح منشود، كانت هذه المساهمة للتثقيف الأسري، لئلا تقع أسرنا في أزمات مالية لا تحمد عقباها.

وكان هذا البحث أملاً في أن تصبح المرأة على مستوى المسؤولية لتأخذ دورها في التنمية، تتعرف على التخطيط السليم لدى ربة المنزل. وباختصار هو خطوة نحو ترشيد الإنفاق في وقت أصبح التباهي في الإنفاق موضة تتعلق بها الكثيرات بقناعة أو مجاملة!

وقد استقيت مواد هذه الرسالة من: كتاب الله الكريم، ومن السنة المطهرة، فضلاً عما في كتب سلفنا الفقهية من لفتات كريمة حول هذا الموضوع، إضافة إلى قراءاتي في الصحف والمجلات وملاحظاتي الاجتماعية عما يدور حولنا.

وقد جاء البحث موزعاً على خمسة فصول:

الفصل الأول: حول فلسفة المال في الإسلام وحقوق المرأة المالية.

الفصل الثاني: وتحدثت فيه عن آداب المرأة المسلمة في الفقر والغنى، وعن البخل والترف ومساوئها، وطرحت حلولاً لعلاج كل منهما.

الفصل الثالث: وخصص للإنفاق وأعمال البر.

الفصل الرابع: فيه عرض لصور مشرقة عن إحسان المحسنات، ونماذج رائعة لبذل المرأة المسلمة خلال تاريخنا الزاهر.

الفصل الخامس: ميزان الاعتدال، وفيه دعوة إلى الاقتصاد والتوفير على ضوء الإسلام وهديه.

وأرجو من الله العلي القدير أن يكون هذا البحث خالصاً لوجهه تعالى وصواباً قد سد ثغرة تحتاجه المرأة المسلمة..

وآمل أن يكون مساعداً لمن تريد السير على خطا السلف الصالح بعيداً عن بريق الدعوات الزائفة.

والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

فلسفة المال في الإسلام

١ . تعريف بالمال واستعمالاته الشرعية

٢ . المال ليس دليلًا على محبة الله لعبده

٣ . المال يستهوي النفوس إلا المتقين

٤ . حقوق المرأة المالية في الإسلام

٥ . الحجر: معناه ، وتطبيقاته المشروعة

١ ـ تعريف المال واستعمالاته الشرعية

المال: كل ما يملكه الفرد أو تملكه الجماعة من متاع أو عروض تجارة أو عقار أو نقود أو حيوان، وقد أطلق في الجاهلية على الإبل.

(الأموال نوعان: منها ما يحتاج العبد إليه من طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ونحو ذلك. فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه. فيكون المال عنده يستعمله في حاجته، فهو بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه، بل بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته من غير أن يستعبده.

ـ ومنها ما لا يحتاج العبد إليه. فهذا لا ينبغي أن يعلق قلبه بها. فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبداً لها، وربما صار معتمداً على غير الله، فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ولا حقيقة التوكل عليه)[1].

هذا وإن ممتلكات الأسرة من الأموال مختلفة ومتنوعة منها:

أ ـ ممتلكات ضرورية لتوفير الإنسانية اللائقة بالإنسان المتحضر، ويتحكم مستوى الأسرة ـ عادة ـ في توفير هذه الممتلكات.

ب ـ ممتلكات تخفف عن أفراد الأسرة بعض الأعباء البيتية، مثل الغسالة والمكواة والثلاجة، ولا تلام ربة المنزل إن عجزت عن اقتنائها، وإنما تلام إن كان في إمكانها الحصول عليها ولكنها فضلت أن تشتري حلياً...

جـ ـ ممتلكات تدر دخلاً عينياً، وهو من العوامل المساعدة لرفع مستوى الأسرة مادياً (كحديقة مزروعة مثلاً).

---

(١) الفتاوى لابن تيمية، ١٠/ ١٩٠.

د ـ ممتلكات تدر دخلاً مالياً: وهذا الدخل يتحكم في تحديد مستوى المعيشة.

هـ ـ ممتلكات عقيمة ومنها: الحلي الذهبية التي تحرص كثير من ربات البيوت على اقتنائها ومنها قطع الأثاث الغالي غير العملي ـ أي كل ما تملكه الأسرة ولا تفيد منه فائدة استعمالية أو صحية أو ثقافية أو فنية أو جمالية[1].

فما المال إلا وسيلة لقضاء المصالح، إنه ما سد الجوع من الطعام وستر العورة من الملابس...

ونحو ذلك مما يبينه حديث الرسول ﷺ فيما روي عن ثوبان رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما يكفيني من الدنيا؟

قال: ما سد جوعتك، ووارى عورتك، وإن كان لك بيت يظلك فذاك، وإن كانت لك دابة فبخٍ»[2].

فالمال في نظر الإسلام وسيلة لا غاية، وسيلة لقضاء الحاجات الضرورية، وليس هدفاً يجمع منه عن طريق الحلال والحرام...

فالقناعة هي رأس مال المسلم التقي..

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه»[3].

---

(١) مدخل في الاقتصاد المنزلي، (٣٢٤ ـ ٣٢٦).

(٢) بخ: كلمة تقال عند المدح.
والحديث رواه الطبراني في الأوسط، ينظر الترغيب والترهيب للمنذري، جـ٤/ ١٦٣.

(٣) رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم وهو صحيح، ينظر صحيح الجامع الصغير، جـ ٢/ ٨٠٥.

وقد قيل لأعرابي:

إن فلاناً أفاد مالاً عظيماً!

فقال: «**فهل أفاد منه أياماً ينفقه فيها؟!**»[1].

هذا المال الذي ينتفع به في الدنيا...

أما الباقي الذي يدخر لما بعد الموت، فهو الصدقات التي تنفع صاحبها، وما يقدمه من أعمال البر والإحسان، والتي يبقى أجرها حتى بعد الموت وانقطاع الأجل:

عن عبد الله بن الشخير قال:

أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ألهاكم التكاثر، قال: «**يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟!**»[2].

* * *

(١) عيون الأخبار، ١/٣٥٦.

(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي، ينظر صحيح الجامع الصغير، ٢/١٣٥١.

٢ ـ المال ليس دليلاً على محبة الله تعالى لعبده

وقد قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾ [المؤمنون: الآيتان ٥٥،٥٦] .

وما الحياة إلا ابتلاء بالسراء والضراء، بالسعة في الرزق والتضييق فيه، برغد العيش والفاقة، إنها ابتلاء في إقبال الدنيا وإدبارها، وفي كل تلك الأحوال تظهر النفوس على حقيقتها:

وقال جل شأنه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥] .

ولا يظن أحد أن قلة المال عقوبة وزيادته مثوبة. فقد قال عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سبأ: الآية ٣٧] .

فقد يكون الغنى استدراجاً تزيد به المطالب الشخصية، والطموحات الأرضية، فتزل قدم بعد ثبوتها، سعياً وراء المتاع الزائل وبريق المال الزائف.

وقد تكون قلة المال نعمة إذا كانت وفرته سبباً في الطغيان ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧﴾ [العلق: الآيتان ٦،٧] .

وذلك حين تكثر النعم ويقل شكر المنعم.

ولو كان المال مقياساً للخير لكان الرسول ﷺ أولانا به، ولعاشت زوجاته وبناته ـ رضوان الله عليهم جميعاً ـ أرغد عيش...

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض

رسول الله ﷺ»[1] وعنها رضي الله عنها قالت:

«لقد كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً، وما هو إلا الماء والتمر، غير أن جزى الله نساءً عن الأنصار خيراً كن ربما أهدين لنا شيئاً من اللبن»[2].

وكانت حجر أزواج الرسول ﷺ مبنية من جريد عليه طين، بعضها من حجارة مرضومة وسقوفها كلها من جريد وكان الحسن (رضي الله عنه)[3] يقول: «كنت أدخل بيوت أزواج النبي في خلافة عثمان بن عفان فأتناول سقفها بيدي».

لقد كان ذلك في عهد كان فيه كسرى وقيصر عدوا الله يفترشان الديباج والحرير... ويعيش المترفون في القصور...

وعندما تأثر عمر ـ رضوان الله عليه ـ إذ رأى الرسول ﷺ وهو مضطجع على حصير قد أثر بجنبه،... فقال رضي الله عنه: ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارس والروم وسع عليهم.. فرد عليه صلوات الله وسلامه عليه.

«هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»[4].

ونحن لا نقول: سقفي بيتك بالجريد وابنيه بالطين..

لكن المعتدل من البيوت هو الأولى، بعيداً عن البهارج والزخارف. بعيداً عن التعالي والتطاول في البنيان، فذلك من علامات الساعة.

أما فاطمة ـ رضي الله عنها ـ ابنة سيد المرسلين:

قد أتت النبي فيما رواه علي ـ رضي الله عنه ـ تشكو إليه ما تلقى في يدها

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

(٢) متفق على صحته، أخرجه البخاري في الرقاق، ومسلم في الزهد والرقاق.

(٣) أي الحسن البصري.

(٤) القصة بتمامها في صحيح البخاري، ٢٣٣٦، وصحيح مسلم، كتاب الطلاق، رقم الحديث ١٤٧٩.

من الرحى وبلغها أنه جاءه رقيق.

فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء (عليه الصلاة والسلام) أخبرته عائشة. قال علي:

ـ فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم، فقال: «على مكانكما» فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت بَرْد قدميه على بطني. فقال: «ألا أدلكما على خير مما سألتماني؟!

إذا أخذتما مضاجعكما أو أتيتما إلى فراشكما، فسبحا ثلاثاً وثلاثين. وأحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم»[1].

هذا هو توجيه رسول الله ﷺ لأكرم الصحابة ابنته وابن عمه رضوان الله عليهما إنه توجيه نحو القناعة بما قسم الله. والاعتماد على النفس في الخدمات الشخصية. وربط للقلوب ببارئها حمداً وثناءً وتكبيراً.

أين من هذا ربات البيوت في العصر الحاضر، حيث أصبح التكاثر في الخدم والسائقين لضرورة أو غير ضرورة، حتى أصبح الكسل رائد النساء المترفات بل وغيرهن أيضاً مما أصبح يثقل كاهل الأزواج بالديون الباهظة.

وقد يكون في قلة المال خير للمؤمن ومحبة من الله تعالى:

عن محمود بن لبيد أن النبي ﷺ قال:

«إن الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مرضاكم الطعام والشراب تخافون عليه»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في باب عمل المرأة في بيت زوجها، ٥٣٦١.

(٢) إسناده صحيح، أخرجه أحمد والترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ينظر شرح السنة، ١٤/ ٢٦٧.

وكان مما سئله ابن تيمية رحمه الله:

«**قال بعضهم: ما افتقر تقي قط، قالوا: ولم؟ قال لأن الله يقول: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.**

وقول القائل: قد نرى من يتقي وهو محروم ومن هو بخلاف ذلك وهو مرزوق! فجوابه:

أن الآيـــة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: الآيتان ٢ ـ ٣] هذه الآية اقتضت أن المتقي يرزقه من حيث لا يحتسب. **ولم تدل على أن غير المتقي لا يرزقه.** بل لا بد لكل مخلوق من الرزق، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: الآية ٦] .

. . . والتقي لا يحرم ما يحتاج إليه من الرزق، وإنما يحرم من فضول الدنيا رحمة به وإحساناً إليه. فإن توسيع الرزق قد يكون مضرة على صاحبه»[1].

والمال فتنة كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٥﴾ [التغابن: الآية ١٥].

ولا خير في مال يعقبه العذاب الأليم في جهنم:

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠﴾ [الإسراء: الآيات ١٨-٢٠] .

---

(١) الفتاوى لابن تيمية، ١٦/ ٥٢.

فالمال لا قيمة له عند المسلم إلا لاستكثار الأعمال الصالحة واستخدامه في الخيرات والأجر العظيم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: «**اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصاً ولا يزدادون من الله إلا بعداً**»[1].

(١) حديث حسن، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١/ ٢٥٤.

٣ ـ المال يستهوي النفوس إلا المتقين

إن هوس حب المال، بلغ ببعضهم أن هانت عليهم جميع القيم أمام تكديسه والبخل به والعناية بجمعه... أو الإسراف به وتبذيره لانتهاب أقصى ما يمكن من المتع.

وهذا شأن من لا يتطلع إلى أكثر من هذه الدنيا الفانية: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب**»[١].

فحب المال سجية مغروزة في نفس ابن آدم، وليس لذلك حد إلا عند المتقين. ولننظر إلى هذه الوقفة الظلالية عند سيد رحمه الله إذ يقول: «**وفي كل زمان ومكان تستهوي زينة الأرض بعض القلوب وتبهر الذين يريدون الحياة الدنيا ولا يتطلعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها، فلا يسألون بأي ثمن اشترى صاحب الزينة زينته، ولا بأي الوسائل نال ما نال من عرض الحياة من مال أو منصب أو جاه. ومن ثم تتهافت نفوسهم وتتهاوى كما يتهافت الذباب على الحلوى ويتهاوى.**

ويسيل لعابهم على ما في أيدي المحظوظين من متاع، غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الذي أدوه، ولا إلى الطريق الدنس الذي خاضوه، ولا إلى الوسيلة الخسيسة التي اتخذوها»[٢].

إنهم ما دروا ماذا ينتظر هؤلاء لسوء تدبيرهم وشناعة أفعالهم.

---

(١) ـ متفق عليه، ينظر شرح السنة، ١٤/ ٢٨٤.

(٢) الظلال، م٥/ ٢٧١٣.

وقد قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الواقعة: ٤١-٤٥].

ينتظر هؤلاء المترفين، الشظف القاسي والعذاب المهين، وما ألم الشظف للمترفين! فهل من معتبر قبل فوات لأوان؟!

ولا زال العبد يطغيه الغنى، ويلهيه العز، ويستبشر بالمال وزيادته، ويظن أن له في الآخرة أمثاله:

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: الآيتان ٥٥،٥٦] وما أكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تعالج هذه القضية، وتنفر من التعلق في الدنيا وزينتها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«قلب الكبير شاب على حب اثنتين: حب الحياة وحب المال»[1].

ولا يقضي على هذا التعلق الدنيوي إلا الإيمان القوي وعمل الصالحات.

فقد قال تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ [هود: الآيتان ٩،١٠].

وقال جل من قائل:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٤].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، ينظر شرح السنة، ١٤/ ٢٨٣.

٤ ـ حقوق المرأة المالية في الإسلام

(للمرأة الرشيدة التصرف في مالها كله بالتبرع والمعاوضة. وهذا إحدى الروايتين عن أحمد وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وابن المنذر.

وعن أحمد رواية أخرى: ليس لها أن تتصرف في مالها بزيادة على الثلث بغير عوض إلا بإذن زوجها وبه قال مالك»[١].

والرشد: هو الصلاح في المال وهو قول أكثر أهل العلم، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: الآية ٦] يعني صلاحاً في أموالهن»[٢] وقد قال تعالى في محكم كتابه:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: الآية ٣٢].

هذا ما يقرره الشرع، رغم ما يقوله الناعقون قديماً وحديثاً.

ابتداء من الإذاعات الحاقدة، والجمعيات النسائية المشبوهة، والمؤتمرات المتعددة، حيث يصورون المرأة المسلمة مضطهدة، مكبلة، تثقلها القيود الأليمة، من استغلال الرجل لها، وحرمانه لحقوقها.

ويتباكون منادين بضرورة أخذها لحقوقها، وكأنهم أرحم بها من الله تعالى ربها وخالقها!

إن النساء الغربيات يتمنين أن يصلن إلى ما وصلت إليه المرأة المسلمة. وأن يحقق لهن شيء من مكانة المرأة في الإسلام...

ورغم دعوى المساواة العريضة في الولايات المتحدة فإن معدل أجر

---

(١) و(٢) المغني لابن قدامة المقدسي، جـ٤/٥١٣ ـ ٥١٦.

العاملة فيها كان ثلث معدل أجر الرجل، حسب إحصائيات عام ١٩٧٣/[١].

وفي أوروبا، تأخذ المرأة العاملة نصف راتب الرجل، في حين أنها هي المسؤولة عن نفقة نفسها...

وقبل زواجها، قد تطرد من البيت لتبحث عن عمل، فتدفع أجرة السكن والأكل لوالديها، مساهمة منها في زيادة دخل الأسرة!

إنها تعمل أي عمل ولو كان وضيعاً. تعمل في الدعايات لترويج البضائع... وفي الملاهي والمقاهي لتجذب الزبائن...

وفي الشوارع لكنس الطرقات... وغير ذلك من المهن بل من الامتهان لها! ومن ثم إذا تزوجت فلا تتصرف بمالها إلا بإذن زوجها!

نعم حتى مالها الخاص، ليس لها أن تتصرف به إلا بناءً على رغبته!

وهكذا فالمرأة التي يريدوننا تقليدها، مكلفة قانوناً بالمساهمة في النفقة مهما كلفها ذلك من جهد نفسي أو جسمي...

أما في الإسلام فللمرأة حق التملك والثروة والإرث، ومن ثم لها الحق في إدارة أعمالها من غير اختلاط بالرجال أو فتنة لهم.

بل إن النفقة واجبة على الزوج حتى مع قدرة المرأة المالية:

إنها مقدمة على نفقة القرابة وواجبة عليه كنفقة نفسه.

إنها نفقة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: الآية ٧].

ومن السنة: جاءت هند إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أبا

---

(١) عمل المرأة في الميزان للدكتور محمد علي البار، ص١٧٩.

سفيان رجل شحيح وليس يعطيني من النفقة ما يكفيني وولدي فقال: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**» متفق عليه.

وفيه دلالة على وجوب النفقة لها على زوجها. وأن ذلك مقدر بكفايتها وأن نفقة ولده عليه دونها مقدر بكفايتهم، وأن ذلك بالمعروف، وأن لها أن تأخذ ذلك بنفسها من غير علمه إذا لم يعطها إياه.

وأما الإجماع: فاتفق أهل العلم على وجوب نفقات الزوجات على أزواجهن إذا كانوا بالغين إلا الناشز منهن»[1].

إن للزوجة ما لمثيلاتها في مثل حال الزوج من المسكن والملبس ولها الطعام والسكنى.

(وإذا كان الابن في حضانة أمه فأنفقت عليه، تنوي بذلك الرجوع على الأب فلها أن ترجع على الأب في أظهر قولي العلماء.

فإن تبرعت بذلك لم يكن لها أن ترجع)[2].

هذا، وقبل أربعة عشر قرناً، كانت أمهاتنا يتصرفن في العتق والمكاتبة وغير ذلك من التصرفات المالية... وتصح منهن تلك التصرفات: عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«**جاءتني بريرة تستعين في كتابتها ولم تكن قضت شيئاً. فقلت: ارجعي إلى أهلك فإن أحبوا أن أقضي عنك كتابتك ويكون ولاؤك لي فعلت**»[3].

فأين المرأة التي يريدوننا تقليدها، وأين واقعها المرير من هذه الحرية في

---

(١) المغني لابن قدامة، جـ٧/ ٥٦٤.

(٢) الفتاوى لابن تيمية، جـ٣٤/ ١٣٤.

(٣) أخرجه البخاري في البيوع ومسلم في العتق.

تصرف المرأة المالي ما دام بحدود الشرع.

لقد كرم الله المرأة في الإسلام تكريماً لا مثيل له، أما الناعقون والناعقات باسم حرية المرأة وحقوقها المزعومة، فماذا عملوا في بلاد المشرق الإسلامي؟! لقد تحولت النساء إلى دمًى للاستهلاك، وفتنة في الاختلاط، وجاهلية أشد من الجاهلية الأولى، والواقع المشاهد أصدق دليل على ما نقول.

٥ ـ الحجر

الحجر في اللغة: المنع والتضييق. ومنه سمي الحرام حجراً، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: الآية ٢٢].

أي حراماً محرماً. وسمى العقل حجراً، قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾ [الفجر: الآية ٥] أي عقل، سمي حجراً لأنه يمنع صاحبه من ارتكاب ما يقبح وتضر عاقبته.

وهو في الشريعة: منع الإنسان من التصرف في ماله.

والحجر على ضربين: حجر الإنسان لحق نفسه وحجر عليه لحق غيره.

والمحجور عليه لحق نفسه: الصبي والمجنون والسفيه... والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: الآية ٥].

(وأكثر أهل الأمصار من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر يرون الحجر على كل مضيع لماله صغيراً كان أو كبيراً...

كان القاسم بن محمد يلي أمر شيخ من قريش ذي أهل ومال، فلا يجوز له أمر في ماله دونه وذلك لضعف عقله، وما كان يعاب على الرجل إلا سفهه)[1].

وهكذا فالحجر وسيلة من الوسائل التي يحفظ بها الإسلام الأموال من الضياع سفهاً.

وإذا كان الرجل الذي لا يحسن التصرف في ماله يحجر عليه، فماذا نقول

---

(١) المغني لابن قدامة: جـ٤/ ص٥٠٥ ـ ٥٠٧.

عن المرأة إن كان عندها من التسيب المالي وسوء التدبير ما يفسد مالها ويبعثر ثروتها؟!

ما بالك بامرأة تهجر بيتها وتدع أطفالها ربما يتضاغون حزناً على خروج أمهم من البيت، لتعمل بمهنة تدر عليها دريهمات...

ومن ثم تذهبها في التوافه، فالزينة تستهلك جل ميزانية الأسرة.. والمظاهر الفارغة تملك لبها... وفي سبيل ذلك كله تهون عليها كل القيم والمثل!

ـ وما بالك بمن تذهب جل ليلها ونهارها وهي بين السماء والأرض، وقد تجوب بها الطائرة المسافات الشاسعة، لا لشيء إلا لخدمة الزبائن في الطائرة، إنها مضيفة وهذه هي مهمتها...

ثم تأخذ كسبها لتشتري بأكثره مبتكرات التجميل، تأخذ منها ما هب ودب... وربما يكفي ذلك لإعالة أسرة بكاملها!

وما ذاك إلا لأن مهنتها كمضيفة تستلزم ذلك كما تقول!

أو ليست هذه وأمثالها في منطق الشرع ممن يجب الحجر عليها؟!

ـ ومن النساء من تهدي زوجها في يوم ميلاده ـ مثلاً ولاعة سجائر ذهبية، أو آلة موسيقية، أو غير ذلك من المحرمات...

لتضيف إلى حرمة عمله وتشجيعه عليه أن أهدت له محرماً أيضاً.

ـ وقد بلغ السفه في بعضهن أن تشتري الواحدة منهن القطة، بأغلى الأثمان، وتنفق على طعامها ما لا يحلم الأغنياء به، فضلاً عن الفقراء، أليس ذلك من السفاهة بمكان؟!

وإذا أخذنا في الحسبان كم تنفق النساء على اقتناء التوافه مهما بلغ ثمنها... كاقتناء ما يسمى بالتحف باهظة الثمن...

أدركنا أي سفه حل بهن، ولو كان شرع الله سائداً لحجر عليهن فضلاً عن تعزيرهن وعقابهن.

فلا نجد بعدها من تغرق في المنكرات باسم الحرية الشخصية، فالإسلام وضع الحد الشرعي للحريات.

وقد عالج علماء الإسلام قضايا التصرف بالمال بحكمة.

وقد أعجبني رأي للإمام أحمد رحمه الله (أن لا يدفع إلى الجارية مالها بعد بلوغها حتى تتزوج وتلد أو يمضي عليها سنة في بيت الزوج)[1].

وما ذاك إلا لصيانة حق المرأة المالي.

إننا إذا وجدنا كثيراً من النساء يحسن التصرف في أموالهن، وأرامل يقمن بتدبير أموال أولادهن...

إلا أن الأمر لا يخلو من نسوة ينخدعن بالترغيب أو الترهيب، فقد تتنازل المرأة عن مالها لزوج انتهازي نتيجة استغلال ذلك الزوج لعواطفها تجاهه، أو التغرير بها، وتزيين ذلك التصرف المالي منها.. وقد تتبرع له تحت تهديد فراقها وطلاقها إن لم تدفع له المال..

وقد يستغل سذاجتها وعدم معرفتها للقيمة الحقيقة لما تبيعه أو تتبرع به، وذاك لضعف خبرتها..

وفي تلك الأحوال إذا شاءت فالقاضي ينظر في أمرها، ويحدد مالها من حقوق.

---

(١) المغني، ٤/٤١٢.

الفصل الثاني

آداب المرأة المسلمة في الفقر والغنى

١ . البخل وعلاجه

٢ . صور قاتمة للبخل في حياتنا المعاصرة

٣ . كيف يعالج داء البخل

٤ . من آداب المرأة الفقيرة

٥ . الإسراف ومساوئه

. أضرار الترف على المرأة وعلى أسرتها

. آثار التبذير على المجتمع

. الإسراف يجلب العذاب في الدارين

٦ . صور قاتمة للإسراف في حياتنا المعاصرة (في المأكل والمشرب والملبس وغيرها)

٧ . من آداب المرأة الغنية : البعد عن الكبر وعن المن وتؤدي حقوق الله

٨ . إنذار من النذير المبين

١ ـ البخل مهلكة

البخل داء خطير، بل هو كما ذكر الرسول ﷺ عنه: «وأي داء أدوأ من البخل»[١].

وإني على ثقة أن البخيلة لو عرفت ما في البخل من مساوىء لحرصت على معالجة نفسها من هذا الداء أكثر من حرصها على العلاج من الأمراض الجسدية المستشرية. إنه داء باعث على الشقاق، ومحرك للضغائن، ومن دواعي الحسد وجالب نقمة العزيز الجبار. قال تعالى: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: الآيات ٧٥-٧٧].

فالمنافق يعاهد الله على البذل وقت الضيق. وإذا ما آتاه الله المال بخل به وأعرض ونأى بجانبه. وأخلف وعده مع ربه.

فكُرس النفاق في قلبه إلى يوم الدين.

لينال جزاء بخله وشح نفسه:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٨٠].

وكفى بذلك جزاء للبخيل على عدم شكر المنعم على نعمه، ونكالاً له

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد عن جابر، ينظر صحيح الجامع الصغير جـ٢، ص١١٩٥.

فالإمساك عن الإنفاق في سبيل الله تهلكة للنفس بالشح، وتهلكة للجماعة بالعجز والضعف»[1].

وقد قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٥] .

يا لهلاك الشحيحة! ويا لخيبتها إن لم تتب ويتغمدها الله برحمته: «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه».

ويا لشقاوة من تسأل في المحشر، وهي قد حرمت نفسها جزيل الثواب الذي ينتظر من يواسي الفقراء ويرحمهم ويحسن إليهم. كيف رضيت أن تجعل من مالها وكنوزها جمراً تكوى به وذلك بمنع الفقراء من حقوقهم:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التَّوبَة: الآيتان ٣٤ ـ ٣٥] .

فالبخيلة لا تنتفع بمالها، وتعيش عيشة الفقراء... فتكون محرومة في الدنيا من الانتفاع بمالها.

ثم بعد ذلك فهي لبخلها محرومة من الأجر العظيم. ومن ثم سيكون مالها وبالاً عليها، وعذاباً يوم تكوى به في نار جهنم جزاء إمساك يدها عن الإنفاق في سبيل الله. وهي محرومة من الطهر والتزكية.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبَة: الآية ١٠٣] .

فيا للحسرة والندامة في الدنيا والآخرة لأولئك البخلاء!

وللوعيد الشديد الذي اختص به البخلاء، كان عند السلف حذر شديد من

---

(١) الظلال، م١/ ١٩٢.

البخل والشح: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: إني أخاف أن أكون قد أهلكت، فقال: ما ذاك؟! قال: أسمع الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: الآية ٩].

وأنا رجل شحيح لا يكاد أن يخرج من يدي شيء.

فقال عبد الله: ليس ذلك بالشح الذي ذكر.

إنما الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً. ولكن ذاك البخل، وبئس الشيء البخل.

وقال سعيد بن جبير: ومن يوق شح نفسه، قال: «**الشح إدخال الحرام ومنع الزكاة**»(١).

فإذا أدى المسلم حق الله تعالى في المال، وكانت له نفس شفوق وحس رفيع للابتعاد عن المال المشبوه، فليس بالشحيح البخيل.

أما إذا استهانت المرأة بحقوق الآخرين، ولم توفها... فسوف يؤخذ من حسناتها لصاحب الدين، فالجزاء من جنس العمل، بل إن الدين لا يسقط حسابه حتى عند الشهيد رغم ماله من مكانة، وما حظي به من مغفرة:

عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين**»(٢).

ذلك لأن حقوق العباد محفوظة، وهي مبنية على المشاحة، أما حقوق الله فتبنى على التسامح والمغفرة.

ومن مساوىء البخل في الدنيا:

ـ البخيلة تقع فريسة الآلام النفسية: وذلك بسبب الشح الهالع... فيا

---

(١) شرح السنة، ١٤ / ٣٥٨.

(٢) رواه مسلم، صحيح الجامع الصغير، ٢/١٣٤٩.

حسرتها إن نقص مالها... ويا ويح من ينتقصه!

ترى المال ولكنها مشلولة الإرادة نحوه، فقد امتلك جمعه وتكديسه لُبّها. وجعلها الحرص الزائد عليه أن تعيش عيشة الحرمان، وحياة الفقيرة وهي المالكة للمال، الحائزة على أسباب الراحة، إنها ذات قلب مريض وأي مرض!

فهي في شك من الناس ومن نواياهم نحوها، لا حب تكنه لهم، ولا وئام يضمها حتى مع أقرب الناس إليها.

وما ذاك إلا لباعث الشقاق ومزيل راحة الضمير وهناءة البال، ألا وهو الشح المسيطر.

وقد قيل سابقاً: من جاد ساد ومن بخل ذل.

. البخل يوغر الصدور ويفرق الجماعات:

فتسود الكراهية والمشاكل الاجتماعية التي تسمى حديثاً (بتصارع الطبقات) إن من تشح نفسها على الخير، فلن تقدم أبداً على عمل المشاريع الاقتصادية الاستثمارية التي تعود على المجتمع بالخير، فضلاً عن تبرعها لذوي الحاجة والمساكين. الأمر الذي يضعف الجماعة أمام الأمم الأخرى... إذ تعصف بها آفات من الحرص والفقر والتخلف، إلى جانب ضعف قدرتها العسكرية طالما لا تجد من الموسرين إلا الشح والإنفاق على توافه الأمور ومزجيات الفراغ. إن اتساع الهوة بين الفقراء والأغنياء أمر لا يمكن تجاهل أخطاره المدمرة للمجتمعات... يتجلى ذلك في الفوضى الاجتماعية وتنافر أفراد المجتمع الواحد ومن ثم الاضطراب والأزمات السياسية.

والعكس صحيح: إذا ابتعد الناس عن الشح، وساد السخاء والكرم، ينعم المجتمع بأسره بترابط أفراده، فيشيع الوئام والتضامن بين النفوس المعطاءة ويسعدون قبل ذلك ببشاشة الإيمان التي خالطت قلوبهم.

. يدعو البخل العاملين إلى الخيانة والإهمال:

بل والاختلاس أيضاً: إن شح الأغنياء والموسرين في مؤسساتهم وشركاتهم، مبعث للبغضاء والحقد في نفوس العاملين، حين يشعرون بظلمهم وهضم حقوقهم، وما يقاسونه من حقوق العنت والتضييق المادي عليهم...

إنهم يكرهون رب العمل الشحيح ويتربصون به الدوائر!

وكذلك النسوة الشحيحات يلقين ممن يعاشرهن الكثير من الخيانات المادية، وتمني زوال النعمة عنهن. وقد يصل الأمر إلى سرقة ما يمتلكن من حلي أو متاع!

. سوء الأحدوثة عن البخيلات:

تلك التي كانت تكيد لأقرب الناس وتمنع عنهم ما أعطاها الله، شحت وجمعت ومنعت ثم ذهبت من الدنيا بالكفن وخلفت المال لينتفع به مبغضيها ممن منعتهم حقوقهم!

لقد كانت مجال التندر والاستهزاء في حياتها ثم باءت بسوء الأحدوثة بعد الممات. وهذا عاجل العقاب لها ولأمثالها ممن ضنّوا بالمال وبخلوا حتى بالمبلغ الزهيد ينفقونه في سبيل الله، هلا اعتبروا بالأشحاء الذين قال تعالى فيهم: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [القلم: الآيات ١٧-٢٣]

...﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم: الآية ٣٣] .

. البخيلة مربية فاشلة:

من تضن بالمال على أولادها فهي تقتل بذاك كرامتها، حين يشعرون بضآلتهم أمام الآخرين، فينشأ الأولاد ضعيفي الشخصية، قليلي التكيف في

علاقاتهم الإنسانية... إنها ستحصد ما زرعت يوم تجد ابنها بعيداً عن فضيلة التوسط... قد يصبح جشعاً نهماً يكثر من الإنفاق ليضيع ما جُمع من ثروة. أو يصبح شحيحاً كما علمه أبواه.

إن سعادة طفلة بما تأخذه مهما كان بسيطاً لا يساويها آلاف الأموال: عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها. فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منها تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها. فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها. فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «**إن الله قد أوجب لها بهما الجنة أو أعتقها بهما من النار**» رواه مسلم.

* * * * *

* * *

*

٢ ـ صور قاتمة للبخل في حياتنا المعاصرة

عالمنا مليء بكل غريب وعجيب، وللبخلاء تناقضات لا تنتهي...

ـ كان لإحداهن مصنع للسجاد، وقد أوصلها الشح إلى جمع المال بكل طريق حتى أكلت السحت.

كانت تستبيح عرق العاملات وتقتر عليهن وتبخل بأجرهن، ولا ترحم حاجتهن للمال إذ كدحهن لتحصيله... كل ذلك حتى إذا زاد مالها وتضاعفت ثروتها... أنفقتها في ملاهي باريس، وهناك لا تعجبها إلا أبهى الفنادق تنفق فيها بسخاء لا يتناسب مع طبيعة الشح الشديد المتأصل بها. إنها تتحايل في الكسب، لتبوء بعد ذلك بالإثم.

* * *

ـ لقد بلغ حب المال مبلغه من نفسها، فأضحت هوايتها جمع المال ولا شيء غيره. كان والدها الشيخ المريض يتأوه، ولا حيلة له، فهو لا يملك تكاليف العلاج وثمن الدواء.

وابنته الموظفة تنظر إليه، تحوقل، تتأوه، وقد تبكي...

لكن! إذا جاء دور المال، فالحجر الصلد هو قلبها!

إنها تحسب أمورها بمعادلة اقتصادية بحتة! إن هذا الرجل كبير السن فلماذا تنفق عليه؟!

قلب أضحى كالحجارة، بل ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٤].

فما فائدة المال، وهي التي تتعب وتنصب، وتكدح وتعمل، ومن ثم تشح وتبخل على نفسها وأولادها وأهلها وكل المقربين...

وتكون النتيجة أن تخسر الجميع... الكل يكرهها ويتحين الفرصة لبعثرة ما جمعته. كيف بها إذا غادرها الأهل والأحباب وبقيت مرهونة بعملها: «**يتبع الميت ثلاثة: أهله وعمله وماله. فيرجع اثنان ويبقى واحد. يرجع أهله وماله ويبقى عمله**»[1].

* * *

ـ كان الأب لا يعالج أبناءه إذا مرضوا، بل ينتظر وينتظر ولسان حاله يقول: لعل ابنه المريض يتداوى من نقود أمه!

أما الأم الرؤوم فتتركه للمرض، حتى إذا استفحل، تحسست محفظتها ثم فتحتها لتخرج منها ما لم ينفعها حتى في دنياها!

لقد أتى حب المال على أغلى العواطف عندها...

لقد تجمدت عواطف الوالدين حتى خالفا الفطرة السوية عند الآباء والأمهات!

* * *

ـ يا لخيبة الأمل، عندما ذهبت الأم لزيارة ابنها في بيت الزوجية!

إنها وقد عطشت لم تشأ أن تتعب ابنها أو زوجته بطلب كأس الماء، بل ذهبت بنفسها إلى المطبخ، وما إن فتحت الثلاجة حتى جرت ـ زوجة الابن المصون ـ ومن ثم سألت أم الزوج:

ـ ماذا تريدين؟! شعرت الأم وكأنها أمام تحقيق مرير معها فقالت:

---

(١) متفق عليه، عن أنس رضي الله عنه، ينظر صحيح الجامع الصغير، ٢/١٣٢٨.

ـ أريد أن أشرب. أشارت زوجة الابن إلى حلوى في الثلاجة قائلة: احذري، هذا للضيوف!!

كانت الأم تتحدث عن ذلك بمرارة وتقول: وأي ضيوف أولى من الأم يا عاقلة؟!

أو ليس من اشتراه يشتري غيره؟!

لكنها تعود وتقول: هذا أفضل من حال (فلانة) التي كانت تغلق الثلاجة بقفل كلما علمت بقدوم أحمائها إلى منزلها...

ألا تخشى الزوجة أن يتكرر الموقف معها في الغد القريب؟! ثم أين متابعة زوجها، أم أنه يشارك زوجته حتى في الشح والعقوق؟!

* * *

ـ وفي بخل النسوة وشحهن قصص عجيبة:

كان زوج «سعاد» وحيداً بين أربع أخوات.

رغب أبواه الشيخان أن يبقى ابنهما قريباً منهما... أقاما له في الدور العلوي، شقة محترمة، وجعلا لها مدخلاً خاصاً ليرتاح ابنهم وبنفس الوقت يكون قريباً منهم.

كانت «سعاد» تؤكد على أولادها في كل مناسبة، أن لا يظهروا شيئاً مما أنعم الله به عليهم من خيرات لأجدادهم أو عماتهم! وأصبحوا جميعاً حتى الصغار لا يظهرون إلا التشكي من الفقر، والتذمر من الحاجة... وإن كان بيدهم شيء حتى ولو حلوى الأطفال، تراهم يركضون ليخبئوه داخل المنزل حسب تعليمات والدتهم المحترمة؟!.

كانت الجدة تبكي بكاءً مراً، وتدعو الله أن يحرم هذه المرأة البخيلة «سعاد» من تعب أولادها كما حرمتها حتى من مجرد اللقمة التي تستسيغها المرأة

السوية من بيت ابنها! «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه»[1].

إنها صور عجيبة تنفطر لها الأكباد، وهي صور واقعية مع كل أسف...

* * *

ـ كانت «ميسون» تملك مبلغاً لا بأس به إضافة إلى راتبها الشهري.

أما زوجها الذي كانت تثقله الديون منذ اقترانه بها، فقد بخلت عليه وضنت عليه بأقل القليل... ومن ثم بدأ الشد والجذب بينهما، حتى كان الفراق والطلاق ثمناً لشحها.

فإذا كانت لا تريد الأجر، فكيف رضيت بانهيار أسرتها، ولديها ما يمكنها من تدعيهما والإبقاء على تماسك كيانها.

ها هي قد أهلكها حب المال كما قيل:

كدودٍ كدود القز ينسج دائماً ويهلك غماً وسط ما هو ناسجه

كما أن الزواج الذي يبنى على المصالح المادية سرعان ما ينهار، والتسامح وكرم النفس هما دعامة الأسرة المستقرة المتوازنة.

* * *

ـ ومن أعجب صور البخل: المرأة معروفة دائماً بحب الزينة والمظهر الحسن لكن (ليلى) كانت ترتدي الأسمال البالية.. وتلبس أولادها المرقعات، لتخزن مالها وتزيد حصيلتها.

لقد جعلت من نفسها حصالة تجمع ما يوضع فيها...

وكان عاقبة أمرها في الدنيا أن انتزعت البركة من مالها ومن ثم زالت عنها النعمة.

---

(١) حديث عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ وإسناده صحيح ينظر شرح السنة، ٩/ ٣٢٩.

فيا خيبة من تتشبث بالمتاع الفاني، وتضن بإنفاقه في وجوه الخير. ويا حسرتها وقد خانها ذكاؤها فاستبدلت الذي أدنى بالذي هو خير!

هلا جعلت من مالها مفتاحاً للخير ومغلاقاً للشر!

هلا تذكرت اليتامى لتساعدهم، وتذكرت الشيخوخة البائسة لتعينها!

هلا أنفقت قبل أن تندم ولات ساعة مندم!

٣ ـ كيف يعالج البخل ؟!

يعالج البخل بتطهير النفس من حب المال، وأفضل السبل إلى ذلك:

١ . الإيمان بالله تعالى:

«النفس البشرية ضعيفة شحيحة ـ إلا من عصم الله. ولا تطهر من هذا الشح إلا أن تعمره بالإيمان وترتفع على ضرورات الأرض، وتنطلق من قيود الحرص على النفع القريب لأنها تؤمل في خلف أعظم، وتؤمل في رضوان من الله أكبر.

والقلب المؤمن يطمئن بالإيمان فلا يخشى الفقر بسبب الإنفاق لأنه يثق بأن ما عند الناس ينفذ وما عند الله باق.

وهذا الاطمئنان يدفع به إلى إنفاق المال في سبيل الله تطوعاً ورضى وتطهراً، وهو آمن مغبته حتى لو فقد المال وافتقر منه فإن له عوضاً أعظم عند الله.

فأما حين يفتقر إلى الإيمان الصحيح فالشح الفطري يهيج في نفسه كلما دعي إلى نفقة أو صدقة. والخوف من الفقر يتراءى له فيقعد به عن البذل، ثم يبقى سجين شحه[١].

إنها إذا رسخت في النفس معالي الأمور، وما ينتظر لها من نعيم مقيم، تصرف المسلم في دنياه كأنه عابر سبيل، أو مسافر يتحمل وعثاء الطريق المؤقت... وعلم أن الدنيا وما فيها لا تساوي عند الله جناح بعوضة. وأقدم ليعطي من ماله، متطلعاً إلى رضوان الله.

---

(١) الظلال، م٣/ ١٦٧٩.

٢ . الصلاة:

فالصلاة تربط قلب المؤمن بربه، وتشحن نفسه بحب الخير، فيتعالى على متاع الدنيا، ويتطهر من الشح المسيطر:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: الآيات ١٩-٢٢] .

وبالصلاة تزيد الصلة بالله تعالى، وتعرف حجم المال، إنه أداة تعين للعيش وليس هدفاً لذاته. . .

فلا تتقاعس من تقف بين يدي ربها طائعة خاشعة ضارعة، لن تتقاعس عن مكرمة ولا تبعد عن فضيلة وهي التي تسعى للتخلص من أدران الذنوب خمس مرات كل يوم. فلا بد وأن تنضبط سلوكياتها بالشرع الحنيف.

٣ . الثقة بما عند الله تعالى ، فلا تضعف النفس أمام المال:

وقد عالجت النصوص الشرعية هذه القضية:

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٦٠] .

وقال جل شأنه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: الآية ٣٩] .

ومما قاله المصطفى ﷺ يرغب الناس في البذل والسخاء: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً. ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[1].

---

(١) متفق عليه، صحيح الجامع الصغير م٢/١٠٠٩.

إنه عطاء لا يكف ولا ينضب للمنفقين والمنفقات في سبيل الله. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقصت صدقة من مال. وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[1].

فهذه هي البركة الحقيقية لا بركة الدرهم والدينار والهلع المسيطر من الفقر. فلا غرابة أن نجد أن من صفات أهل الجنة أنهم ينفقون في السراء والضراء، وأن نجد التحذيرات المتعددة من الشح:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا**»[2].

هذا ومما يعين على معالجة البخل إن وجد، واتقاء مساخطه:

الدعاء:

فالدعاء الصادق مستجاب بإذن الله، والقلب المعلق بربه سيسعد صاحبه ولا شك.

رؤي عبد الرحمن بن عوف يطوف بالبيت ويقول: رب قني شح نفسي، رب قني شح نفسي فقيل له في ذلك فقال: إذا وقيت شح نفسي فقد وقيت البخل والظلم والقطيعة.

فهذا الشح الذي هو شدة حرص النفس يوجب البخل بما يجب عليه. والظلم بأخذ مال الغير. ويوجب قطيعة الرحم ويوجب الحسد. وهو كراهة ما اختص به الغير»[3].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة.

(٢) رواه أبو داود والحاكم، قال الألباني رحمه الله: هو صحيح، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١/ ٥٢١.

(٣) الفتاوى لابن تيمية، ٢٨/ ١٤٤.

ومن دعاء الرسول ﷺ:

«اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل» أخرجه مسلم.

كما أنه لا بد من الإرادة الجازمة: فالتمني وحده لا ينفع. ولتبق لدى المسلمة النية الدائمة للعطاء. والتصميم المستمر على البذل للخير. حتى لو عدمت المال، فهي لن تعدم النية الصالحة لمعونة غيرها، عسى الله أن يجزل لها الثواب ويضاعف الحسنات...

كما أن في **محاسبة النفس** وتزكيتها، علاج للأخطاء السلوكية، وعلاج للبخل بعلاج أسبابه:

فالأولاد مجبنة مخبلة، والمسلم يعتقد أن الباقيات الصالحات خير وأبقى والشيطان يعد بالفقر، والله تعالى يعد بالفضل والرضوان.

وقد قيل: إذا أقبلت عليك الدنيا فانفق فإنها لا تفنى وإذا أدبرت عنك فانفق فإنها لا تبقى.

وقد قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عِمرَان: الآيتان ١٣٣، ١٣٤].

نعوذ بالله من مال وراءه العقاب وحر المصائب والويلات لأن صاحبه بخيل، وفي الحقوق شحيح، وكل عمله قبيح وعاقبته سيئة[1] وأخيراً.

أخشى بعد هذا كله أن يكون كلامي كما قال الشاعر:

يا خادع البخلاء عن أموالهم هيهات تضرب في حديد بارد!

لكن لي فيك أمل كبير، ما دام الشرع رائدنا جميعاً، نلبي داعي الله تعالى القائل: «استجيبوا إلى ربكم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٤].

---

(١) كما ذكر مصطفى عمارة في تعليقه على الترغيب والترهيب، جـ٢/ ٢٧ (الهامش).

٤ ـ من آدب المرأة الفقيرة

الفقر والغنى نعمتان للمؤمن، ونقمتان للفاسق والكافر. ففيهما اختبار في هذه الحياة الدنيا.. وعلى الفقيرة آداب يحسن أن تتحلى بها منها:

١ ـ التعفف وعدم الطمع:

فلا تمدن عينيها إلى ما عند غيرها، ولا تطمع به. ولا تغرنها مظاهر النعمة الخداعة التي تراها لدى المترفات، ولا يثنيها شظف العيش الذي تقاسيه عن التمسك بأهداب دينها.

فهي المسلمة الصالحة الراضية بما قسم الله لها، بعيداً عن الطمع، يائسة مما في أيدي الناس، ترجو أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم:

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٣] وما ذاك إلا لقناعتها. بل إنها إذا منحت المال لا تأخذ منه ـ إلا بقدر حاجتها... فلربما وجدت صاحبتها من هم أحوج إلى المال منها.

وعلى التعفف والقناعة ربى الرسول ﷺ أمته رجالاً ونساءً: فأم سنان الأسلمية، وكانت من المبايعات، قالت ـ رضي الله عنها ـ جئت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني جئتك وما جئت حتى ألجئت من الحاجة: فقال: «**لو استعففت لكان خيراً لك**»[١].

وجاء في الحديث الصحيح: «**ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس**»[٢].

والطماعة تراها دائما الشكوى، كثيرة الضجر والتأفف، تكثر من قولها:

---

(١) الإصابة، ٤/ ٤٤٣.

(٢) متفق عليه: البخاري، ٦٤٤٦ ومسلم، ١٠٥١.

أنا لو لم أكن راضية بالقليل ما عشت، أنا أقل الناس شأناً...!!

يا هداها الله، هلا نظرت إلى من دونها فلا تسخط على القدر، وترضى بما أنعم الله به عليها!.

وبالقناعة والرضى بما قسم الله تطيب الحياة رغم قلة مواردها.

قال ابن الجوزي: «من قنع طاب عيشه، ومن طمع طال طيشه».

٢ . البعد عن الحسد :

وأول خطيئة وجدت هي الحسد.

إذ حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له، فحمله ذلك على الحسد والمعصية. نعوذ بالله من سيئات الأخلاق. إنه ألم في الدنيا، وعذاب للحاسدين في الآخرة.

فلماذا لا تكون راضية مرضية تحب لغيرها ما تحب لنفسها، وتحتسب في حياتها كل هم وكدر، بدل أن تخسر حتى إيمانها فضلاً عن خسران حسناتها؟! وإنهاك صحتها الجسمية والنفسية على السواء؟!

فالحاسدة طويلة الحسرات، لا يسرها إلا زوال النعمة عن غيرها.

وما انتشار الحسد في المجتمعات إلا دليل على ضعف الإيمان، وحب الدنيا المسيطر على القلوب الخاوية.

ومن أجل علاج هذه الدوافع نصحنا المصطفى ﷺ بقوله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم ينظر شرح السنة، جـ١٤/ ٢٩٣.

٣ . لا تبرز الفاقة أمام الناس ولا تكثر من الشكوى:

إن افتقرت أختي المؤمنة، فثقي بفضل الله وكرمه: «**ذلك خير مما يجمعون**» واعلمي أن ما زواه الله عنك خير لك مما لو أعطيته. فقد يكون الخير لك في الفقر، وهو يصلحك أكثر من السعة والوفرة.

فالتقية تصبر على ضيق ذات اليد. تداري الفقر بحسن تعففها.

فالصبر الصبر ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٥] . وقد بشر الرسول ﷺ الفقراء فيما رواه عنه ابن عمر رضي الله عنهما:

«**يا معشر الفقراء ألا أبشركم أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة سنة**»[(١)].

٤ . تشكر على العطية:

لا تنسى الصنيع الطيب. تشكر على المعروف وتحاول أن ترد الجميل، وفي ذلك أدب جم. . قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[(٢)].

تحسن إلى صاحبة الفضل، وإن لم تجد ترفع يديها بالدعاء ضارعة لله لمن صنعت لها المعروف فتلك مكافأتها:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**من أتى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه**»[(٣)].

وإن أعطيت فليس في نفسها عتب أو موجودة من قيمة العطية، نوعيتها أو

---

(١) أخرجه البيهقي وهو صحيح، انظر صحيح الجامع الصغير، ٢/١٣٢١.
(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وهو صحيح، ينظر شرح السنة، ١٢/١٨٧.
(٣) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وإسناده صحيح، شرح السنة، ١٨٧.

كميتها، فذلك يجافي خلق الإسلام.

أما أن تشيع عيوب العطية فذلك شأن العائل المستكبر:

«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر» أخرجه الإمام مسلم.

٥ ـ قضاء الدين بلا تردد:

إذا احتاجت الفقيرة إلى قرض، تبذل جهدها للوفاء به بلا مماطلة أو تسويف، حالما تستطيع سداده. والله تعالى يعين من تريد الوفاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله»**[1].

وإلا أخذ من حسناتها وهي أحوج ما تكون إلى الحسنات...

ذلك أن حق العبيد لا بد فيه من المقاصصة يوم الدين، أو المسامحة في الدنيا... والحذر الحذر من إدخال المال الحرام.

فـ (كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به).

٦ ـ الثقة بالله تعالى وحده:

وعدم التوكل على المخلوقات. فهو سبحانه وحده مزيل الكرب وكاشف الغم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: الآية ٣].

إن ألجأتها الحاجة فلا تيأس ولا تضجر ولا تسخط على القدر فتقول: سعينا فتأخر رزقنا:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض رقم ٢٣٨٧.

«إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله»[1].

والرزق مقدر أصلاً، والسعي مطلوب شرعاً... والثقة بالله تعالى واجبة. ولن يخيب الله نفساً ألهمت رشدها وشعرت أن ما في يد الله أوثق مما في يدها.

القول في السؤال والتسول:

حفظ الإسلام كرامة الإنسان، ونهى أن يريق المسلم ماء وجهه بذل السؤال.

وهذا لا يعني أن السؤال عموماً محرم، وإلا لما دعينا إلى إعطاء السائل ولما أمرنا بإجابته وعدم رده ولو بشق تمرة.

وقد قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإسراء: الآية ٢٨]. وفي تفسير الآية الكريمة، قال ابن كثير رحمه الله: قولاً ميسوراً أي عدهم بسهولة ولين، إذا جاء رزق من الله فسنصلكم إن شاء الله[2].

فالأولى ترك السؤال حتى لا يكون في ذلك تضجر وتأفف وعدم رضى بالقدر، وليعتاد المؤمن العزة التي يريدها الله تعالى له ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: الآية ٨].

أما إن كان هناك ضرورة فلا بأس بالسؤال على قدر الحاجة لا أن يكون للاستكثار من الملابس أو الأموال.

فتلك فتاة كلما رأت نعمة على غيرها استشرفت نفسها لها، ووجدت أن

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وقال الألباني الحديث حسن، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١/٣٣٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣/٤٢.

خير طريق تسلكه هو السؤال!

وتتفنن الكثيرات في ذلك. وأبسط حالات السؤال: إبداء الإعجاب الزائد بالشي، مما يخجل صاحبته، فتدفع به إلى الأخرى خجلة أو راضية!

ومن أغرب مشاهد التسول:

ـ أن امرأة كانت ترتدي ملابس أنيقة، وتحمل شنطة بيدها وتقول بلهجة رقيقة: عذراً فإني احتجت إلى نقود لشراء بعض الملاعق والصحون وليس معي نقوداً (فكّة) لأعطيها للبائع، ليس معي إلا قطع نقدية كبيرة... وهكذا تذهب إلى الثانية والثالثة... بطريقة حديثة للتسول... بعيداً عن الطريقة التقليدية بارتداء الأسمال البالية أو الشكوى المريرة التي تظهر الفاقة والعوز!

ولاستغلال الصحوة الإسلامية، هناك منه المستولات من تلبس الجلباب الواسع، وتغطي يديها بقفازين.. ومن ثم تعرف بنفسها قائلة:

ـ أختك في الله والله لا يضيقها عليك...! ولا تزيد عن ذلك.. وتنتظر تفاعل المستمعة. ثم تعاود ثانية لتخدع الناس بأقوالها. وهكذا تنتقل للثانية والثالثة... تبتز الناس بالحيلة والخديعة. والإسلام ينهى عن الاستجداء مع القدرة على العمل، فلا تتسول المرأة مع إمكانية عمل شريف لها.

وإن سألت لا تلح في السؤال لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٣] أما إذا كانت لا تملك ما يغنيها ولا تقدر على كسب ما يكفيها جاز لها الأخذ من الزكاة لأن الفقر نوع من الحاجة. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فَاطِر: الآية ١٥] أي المحتاجون إليه[1].

فلا تبني الدور والقصور ولا تفتح المتاجر من مال الآخرين تنتهبه بالتسول، ولا تهين نفسها وتذلها بالسؤال.

---

(١) المغني لابن قدامة المقدسي، حـ١/ ٦٦٤.

بل تتورع عن الحرام متطلعة إلى وعد الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: الآيتان ٢ ـ ٣] فهذا وعد من الله غير مكذوب.

أما من امتهنّ التسول، تأخذ إحداهن صغيرها، وتبدأ باستجداء الآخرين تستثير نخوتهم لمكانة صغيرها.

ومن ثم إذا بها تدفع ابنها لاحتراف الشحاذة، فهذه وأمثالها يجب أن تزجر وتعاقب بشدة. وقد قال ابن تيمية رحمه الله في ذلك:

(وأما فساد الأولاد بحيث يعلمه الشحاذة ويمنعه من الكسب الحلال... فهذا يستحق صاحبه العقوبة البليغة التي تزجره عن هذا الإفساد.

فيجب تعليم أولاد المسلمين ما أمر الله بتعليمهم إياه، وتربيتهم على طاعة الله ورسوله)[1].

والتربية على القناعة وعزة النفس، أمر مهم في حياة المسلمين حتى للأغنياء منهم. فنعود صغارنا القناعة حتى عند الطعام، يأكل الصغير مما يليه ولا ينظر إلى صحن غيره، ولا يمدن عينه إلى ما عند غيره من ألعاب أو ملابس أو نقود... وفي تراثنا خير معين لنا في تربية أجيالنا الناشئة على أدب الإسلام.

---

(١) الفتاوى لابن تيمية رحمه الله: ج١١/٥٠٣ ـ ٥٠٤.

٥ ـ الترف ومساوئه في حياة المرأة المسلمة

الترف من أشد الأمراض الاجتماعية المعاصرة، إذ وفد إلى بعض المجتمعات مع ضعف الوازع الديني وهجمة الغزو الفكري.

وحيث أن المرأة سريعة الانفعال، سهلة الإغواء، فقد ركز الأعداء لإفسادها بشتى طرق الدعاية والإعلان لتكون سوقاً لترويج بضائعهم بل وأفكارهم الكاسدة أيضاً!

فحبذا لو فكرت المسلمة في مآخذ الترف ومساويه، لتوفر على نفسها المال والجهد معاً، بل وتوفر الوقت الضائع لتصريف المال.

ومن مساوىء الترف على المرأة نفسها :

الترف يفسد الفطرة: ويغلظ المشاعر ويفقد القلوب تلك الحساسية المرهفة التي تتلقى وتتأثر وتستجيب:

ومن هنا يحارب الإسلام الترف ويقيم نظمه الاجتماعية على أساس لا يسمح للمترفين بالوجود في الجماعة المسلمة لأنهم كالعفن يفسد ما حوله حتى لينخر فيه السوس ويسبح فيه الدود»[1].

لأن المترفين المسرفين تجمدت أحاسيسهم، واشتدت لديهم الأنانية فلا يفكرون فيمن حولهم...

وقد تحيك المترفة الدسائس لتحصل على المال بأي طريقة، ولو من الكذب والخيانة للأمانة وكذا كل طريق أحمق شائك لا تبالي به ما دام يوصلها

---

(١) الظلال، حـ٤/ ٢٤٦٧.

إلى المال. . . وتبدده على ملذاتها الخاصة.

● **الترف يؤدي إلى القلق** وعدم التوازن: وأنى لمن جعلت الدنيا غاية همها. واستحوذ انتهاب المسرات على جل اهتماماتها، أنى لها أن تجد الراحة والطمأنينة؟!

فهي تبيت حالمة بالمزيد والمزيد. . علّها تتفوق على بقية النسوة في ميدان: المتباريات على الملذات والقائدات إلى الهاوية.

إن مجتمعاتنا تفيض بمآسٍ يندى لها الجبين، والجشع المادي هو السبب الكبير فيها.

فكثيرات يعتبرن أن قيمتهن في المجتمع لا تكون إلا بوفرة الزينة ومظاهر الترف الباهظة. مما يبعثر ثروتها ويبدد ما عندها من مال! كيف لا وهي تطلق العنان لرغباتها، تنتهب ما استطاعت إليها سبيلاً. . .؟!

لا تخرج من مخازن الشراء إلا وقد كدست آخر صيحات الموضة لتناسب جميع المناسبات (حسب قولها) حتى إذا باتت صفر اليدين بدأت تضرب أخماساً في أسداس، وأنى لما ذهب أن يعود؟!

فها هي تجني الثمار المرة لما زرعته، وها هي ترزأ تحت وطأة الدين والإفلاس. وقد قيل: من تجهد نفسها في التوسعة تهلك هزالاً. والمشكلات المالية إذا تفاقمت، كانت سبباً في تعاسة المرأة، ومدعاة للقلق وضيق الصدر.

● **بالترف تشغل المرأة** نفسها بالتوافه عن جليل الأمور التي تنتظرها. فهي تبذل ما لها راضية وإبليس يؤزها نحو الهاوية.

تتغالى النسوة في المهور ويسرفن في النفقات. . . والمجاهدون في سبيل الله لا يجدون ما ينفقون كما قال الشاعر:

بضع الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجيوش جياعاً

والله تعالى ما خلقنا دمى تتلون بالأصباغ، وتتحلى بتبديل الثياب ولا عمل

لها إلا تلهية من حولها، إننا مكلفات ونحن شقائق الرجال وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: الآية ٥٦] ففي اللباس الشرعي عبادة، وفي الاقتصاد المنزلي عبادة، وفي التفرغ لتربية الأبناء ورعاية البيوت على تقوى الله عبادة..

ومن مساوىء الترف على الأسرة أنه:

● **يدمر الأسرة:** إذ يجعلها عرضة للديون، حين تستنفذ طلبات المرأة كل ما لديها من ثروة، وتنغص العيش بتوافه ومظاهر طفولية لا تنتهي... وكل همها منافسة الأخريات!

لا تراعي حال زوجها المستور، بل تثقل كاهله بشراء أشياء لا تفيدها للدنيا أو الدين. وإن استجاب لها زوجها، جعلته في ضائقة مالية ينوء عن حملها... حتى إذا تفاقمت الأعباء الاقتصادية كان الانفصال بعد دوامة من المشاحنات!

ونظرة إلى القصص والروايات المعاصرة، نجد أن أكثرها يعبر عن واقع المرأة العصرية ومشاكلها المالية، تلك التي تتجلى في دخل المرأة والطمع في مالها... أو سوء تصرفها في المال وتبديده.

إن حب المال والإسراف فيه مدعاة للغدر والقطيعة والكذب بين الأزواج مما يودي بالأسرة ويهدم كيانها.

ولقد شكلت نسب الطلاق هاجساً مخيفاً للباحثين الاجتماعيين.... والسبب الرئيسي في غالب الحالات: إنما هو الناحية المادية، وترف المرأة وشغفها بالمطالب التي ليس لها حدود، وبريق السلع الاستهلاكية الذي يخلب عقلها لا نظرها فحسب.

أوليس الأجدر بالمسلمة أن تضبط نفسها وألا تستجيب إلى المغريات ولو كثرت؟!

أليس الجدير بها أن تتسامىٰ في مطالبها وتصعّد من أهدافها؟!

● **ومن مساوىء الترف** أن المرأة قد **يقاسي أولادها من أنانيتها الأمرين** فتبدد ثروتهم بترفها الفارغ واهتمامها الزائد بالمظهر والقشور...

ـ وقد تسرف على بعضهم دون الآخر وتفاضل بينهم في العطية. فذلك مما يوغر الصدور وينافي التوجيه النبوي الكريم **«فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»** والدلال مفسد للشيء، والظلم والإحجاف يورثان الحقد والضغينة. مع ما في ذلك كله من مثالب تربوية.

ـ وقد تفسدهم **بالقدوة السيئة**. وحري بالمسلمة أن تعود أبناءها الأسلوب الأمثل في الإنفاق لتحسن إعدادهم للحياة، مع حسن التصرف في المال. تبدأ في تعليمهم عن الاقتصاد حتى في ألعابهم، فلا تغرقهم بها. وتعرفهم قيمة المال وضرورة حمد الله تعالى على نعمه التي قد حرم منها كثير من الناس، فينعمون بالقناعة.

ومنذ الصغر لا بد من حرمانهم أحياناً من بعض مايشتهون تدريباً لهم على القناعة وإعدادهم ليكونوا مسلمين صالحين، لأن الصغير الذي يتعود الإسراف، لا يقف عند حد، فقد يسرق لينفق ويظهر أمام غيره أنه من الموسرين..

لقد سمعت عائشة بنت سعيد الحيري، عابدة نيسابور، سمعت ابنتها تتكلم وهي فرحة ببعض ما لديها فقالت لها: لا تفرحي بفانٍ ولا تجزعي من ذاهب وافرحي بالله عز وجل واجزعي من سقوطك من عين الله عز وجل[1]. نعمت الأم ونعم التربية الفاضلة والتوجيه الرفيع.

هلا وعت ذلك نساؤنا؟!

---

(١) صلاح الأمة في علو الهمة، تأليف د. سيد بن حسين العفاني، مؤسسة الرسالة، حـ٧/ ١٨٢، طـ٢/١٤١٨.

هلا اقتدت بمثل هذه المعاني واهتدت؟!

ألا ما أحوجنا إلى هذه النوعية من الأمهات، بعيداً عن الجري وراء مفاسد نساء الموضة والترف الناعقات صباح مساء لتدمير الأسرة والمجتمع.

ومن مساوىء التبذير على المجتمع

- **تصدع المجتمع لشيوع الحسد والضغينة فيه بسبب الأثرة والتفريط في** الحقوق وشيوع المكايد، وتفويت لمصالح العباد.

ويجب أن لا يظن أن الإنفاق أمر شخصي، إن له تأثيرات عديدة، فإن أحسن استعمال المال كان الازدهار وكان التوازن الاجتماعي، فلا فوارق طبقية وبالتالي لا إحن ولا ضغائن.

أما إذا أسيء استعماله فيحرم المجتمع من الاستقرار وبالتالي تضعف قوة الأمة لضعف تماسك أفرادها...

ويؤدي ذلك إلى طمع أعدائها بها، كما جاء في الحديث الشريف:

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**». قيل: يا رسول الله، فمن قلة يومئذ؟

قال: «**لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل. يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت**»[1].

فيا للخزي والمهانة كيف نرضى أن نكون كغثاء السيل في زمن العلم وزمن الوفرة؟!

ومما يدمي القلب أن أكثر من ثلاثة أرباع مسلمي اليوم يقاسون شظف العيش ويكابدون ألواناً مرة من الحرمان... في أفريقيا والهند وغيرها... حيث

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وهو حديث صحيح، ينظر صحيح الجامع الصغير، ٢/١٣٥٩.

يعيشون تحت خط الفقر كما يقال.

وإذا علمنا أن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم... وأن أمة الإسلام أمة واحدة وما جاع الفقراء إلا بما بطر به الأغنياء.... علمنا أي داء حل بنا حين داهم البطر كثيراً من بيوتنا وحين أفسد الترف جل نسائنا.

وقد قال معاوية رضي الله عنه: ما رأيت سرفاً قط إلا وإلى جانبه حق مضيع[1].

وإذا أخذنا في الحسبان أن جل وارداتنا هي: من مواد الزينة، من عطور ومستحضرات تجميل وأقمشة ونحو ذلك من الكماليات... أدركنا عظم مسؤولية المرأة لتنهض بمجتمعها وتقيه شر الاقتصاد المضطرب. وذلك بحسن تدبيرها وبعدها عن الإسراف.

- **الترف يقعد الهم عن الأعمال الجليلة** التي تحتاج إلى جهد وفكر وسخاء وبذل. وما من أمة أصيبت في نسائها بداء الترف، إلا وكان مصيرها الخذلان. ومصير حضارتها الانحسار.

وأنى لمن تقتل وقتها باللهو الذي هو سمة المترفات إلا أن تكون في ترهل وكسل يقضي على المواهب ويحول دون تنميتها، فلا تنتج شيئاً ذا بال، ناهيك عن ضجرها الدائم، ومللها من الحياة وما فيها.

وقد التفت الماركسيون وكذلك الاشتراكيون إلى الحاجات الأساسية للأمة، فانتهزوا حاجة الفقراء واستغلوا بؤس المعوزين المساكين، ونادوا بمبادئهم الهدامة، لتلقي أذاناً صاغية منهم!

والمسلمة التقية لا ترضى أن تكون عوناً لهم وذلك بإعطاء النموذج السلبي للإنفاق عند المسلمات وهي تسمع آيات الله تتلى ﴿لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ

---

(١) عيون الأخبار، جـ١/ ٤٥٤.

﴿ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: الآية ٧] فتتراجع المقصرة وتتشجع السخية.

إنها تتذكر ما يدعو إليه ديننا من العدالة الاجتماعية، وتحب لغيرها ما تحب لنفسها، وحديث الرسول ﷺ القائل: «**ما آمن بي من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم به**»[1] يستثير همتها لعمل الخير.

ـ **الترف يعيق المرأة المسلمة** عن الدعوة إلى الله:

وما كان المترفون يوماً هم أصحاب الدعوات والمنافحين عنها.

وكيف ستضحي من اعتادت الترف والرفاهية، كيف ستصبر على الجوع والحرمان من لم تعود نفسها الاعتدال والاستجابة للأمر الله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعرَاف: الآية ٣١].

إن شعوبنا المنكوبة بالقحط والحروب، لن تواسيها الدموع والعبرات... إن شعوبنا الفقيرة بحاجة إلى ما يسد خلتها أكثر من حاجتها إلى المحاضرات والمواعظ ـ على أهمية ذلك ـ.

فليكن ذلك في ذهن كل داعية، ولا تتشاغل بغير الأهم فيكثر عليها التعب دون جدوى!

أي قدوة طيبة سيجدونها فيمن تنفق المبالغ الطائلة على توافه الأشياء في حين لا يجد البعض ما يسترهن من حر الصيف القائظ أو برد الشتاء القارس. بل لا تجد البعض ما يستر عورتها بطريقة عفيفة تليق بمسلمة تعيش في بيئة إسلامية.

والمعروف أن النفس مفطورة على حب من أحسن إليها، ولو أحسنت المرأة استغلال نعمة الله عليها لعم خيرها الفقراء بما يصون ماء الوجه عن ذل الحاجة.

فكم يخسر المجتمع والفقراء من المشاعر الرقيقة ومن الوئام الذي ضيّعه الترف؟!

---

(١) رواه الطبراني والبزار وإسناده حسن، السلسلة الصحيحة رقم ١٤٩.

ـ للتبذير دون مخافة الله عذاب في الدنيا قبل الآخرة، حيث تنزع البركة ويسلط الخوف والجوع على الأمة وهناك الهلاك والخسران فضلاً عن العذاب الأليم في الآخرة:

الإسراف وألوان العذاب في الدنيا

١ ـ **تنزع البركة**: وذلك إذا اغتر ا لأغنياء بما وهبهم الله فتذهب النعم وتنزع البركة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: الآية ٩٦] .

والابتلاء بالنعمة، وهو أخطر من الابتلاء بالشدة، وفرق بينه وبين البركات التي يعدها الله من يؤمنون ويتقون.

فالبركة قد تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به وكان معه الصلاح والأمن والرضى والارتياح.

وكم من أمة غنية قوية ولكنها تعيش في شقوة مهددة في أمنها. مقطعة الأواصر بينها، يسود الناس فيها القلق، وينتظرها الانحلال!

فهي قوة بلا أمن، وهو متاع بلا رضى، وهي وفرة بلا صلاح، وهو حاضر زاه يترقبه مستقبل نكد، وهو الابتلاء الذي يعقبه النكال[1].

فلنحسن مجاورة نعم الله، بأداء حقه فيها، لتعم البركة بها مجتمعنا المسلم بأسره.

٢ ـ **تسليط الخوف والجوع**: إن من يعب من الشهوات ويجعل همه الاستمتاع فقط، تستنزف أمواله في أمور لا طائل تحتها، ويعاقب حتى في الدنيا وقد قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا

---

(١) طريق الدعوة في ظلال القرآن، ١/ ٣٨٠.

مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: الآية ١١٢] .

وها نحن نلاحظ القلق والخوف وانتشار المجاعات رغم وفرة الأموال وكثرة الدخل، فالكل يشكوا والكل يلهث... والكل يخاف المستقبل.

٣ ـ الهلاك: قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٦] .

قال ابن عباس رضي الله عنها: أمرنا مترفيها أي أكثرنا عددهم. وعنه أيضاً: سلطنا أشرارها فعصوا فيها فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعذاب[1].

وهكذا، بعد أن رتعوا في الفسق واستهتروا بالقيم وعاثوا الفساد في الأرض ولم يجدوا من يضرب على أيديهم، هلكت الأمة التي لم تنصر الحق... فيالها من ثروات لو أحسن استغلالها!

إن سنة الله تنتظر المترفين والمترفات، قال جل شأنه: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأنبياء: الآيات ١١-١٣] .

هنالك العذاب... هنالك الندم والحسرة.

﴿وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ [الأنبياء: الآية ١٣] هل ينفعكم شيئاً؟! هيهات فلن ينتظرهم إلا الهلاك.

العذاب الأليم في الآخرة

فمن صفات أصحاب الشمال أهل السعير ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الواقعة: الآية ٤٥] وهل ترضى العاقلة أن تفرط بالجنة من أجل قطعة

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣/٣٨.

قماش يلف بها جسدها أو أكلة يغني عنها غيرها؟!

أختي المسلمة: الدنيا فانية، ومتاعها زائل، فالتوبة التوبة قبل فوات الأوان.

«لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم»[1].

فماذا أعدت المرأة لجوابها إن سئلت ألم أرزقك المال، فأين وضعته؟! وعلام التفريط في حق الفقراء وذوي القربى وغيرهم وغيرهم؟!

أين أنفقت المال وفيم بذرتيه؟!

هنالك الوعد الحق، هنالك الموقف الصعب... هنالك (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين)[2].

فماذا لو أخذ المدين من حسنات الدائن، أو ليس الأجدر الحذر من مغبة الدين لغير ضرورة، ناهيك عن كونه بسبب الإسراف والتبذير.

عجباً لمن تبيع الآخرة بثمن بخس..!

إنها لو أرادت الحياة الناعمة لأكبر فترة، لبحثت عن أسباب الخلود في الجنة، وابتعدت عن أسباب الخذلان.

وأي مغنم أكبر من أن تأخذ عوضاً عن الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي وهو حسن، ينظر صحيح الجامع الصغير، ٢/ ١٢٢١.

(٢) رواه مسلم عن ابن عمرو وأحمد، المرجع السابق، ص١٣٤٩.

عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦١] .

فلتقدم الصالحة التقية، ولتصطنع المعروف ابتغاء مرضاة الله دون طمع في الشكر والثناء، أو خوف الملامة والهجاء، والله لا يضيع أجر من أحسنت عملاً.

وقد قيل: «لا صحة مع نهم». فلتعتبر العاقلة ولا تتخم نفسها!

والمعروف أن أمراض الإفراط في التغذية لا تقل خطراً عن أمراض نقص التغذية، وجل انتشارها بين الأغنياء والمترفين. ومن الدعاء المأثور عن النبي ﷺ:

«اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها»[1].

وسؤال إلى المرأة، كم تدفع ثمن وجبة تتناولها خارج المنزل لا لشيء إلا لأن صدرها ضيقاً حرجاً...؟!

تتخم نفسها بصنوف من الأطعمة، للتجريب تارة، وللتباهي تارة أخرى... ومن ثم تبحث جاهدة عما يذهب عنها السمنة المفرطة!

أما في الولائم، فلا تسل عن الحماقة والسفه في إعدادها:

فطعام العشرات تعده المرأة للآحاد...

وإذ أنسى لا أنسى منظر الجفنة الكبيرة تمتلىء باللحوم والأرز وقد وضعت قريباً من باب العمارة، تتناوشها القطط..!!

طعام يحرم منه الفقراء والجوعى.. وأباحته الأنانية للحيوانات وأشبعت به قطط الحي!

وهكذا.. تمضي الشهور حتى إذا جاء شهر رمضان... وما أدراك ما رمضان! ورمضان المبارك شهر الصوم، ولكنه للأسف جعل عند البعض شهر الطعام والنهم.

يبالغن في أصناف الأكل والحلويات، بحيث أضحى من المعلوم لدى

---

(١) رواه مسلم، صحيح الجامع الصغير، ١/٢٧٦.

٦ ـ صور قاتمة للإسراف

الإسراف مرض الأغنياء إذا نضب فيهم معين الإيمان، وسادت توافه الحياة المادية. ولسنا مبالغين إذا قلنا أن اهتمامات الكثير منهم لا تتعدى اللباس والأكل والأثاث والكماليات التي لا يستفاد منها إلا في النادر. وهذه صور قاتمة كئيبة لإسراف النسوة:

ـ **الإسراف في المأكل والمشرب**: كثيرات همهن التوسع في ملاذ الدنيا، وتشغلهن اهتمامات البطن، فيقبلن على ألوان الطعام والشراب بنفوس شرهة نهمة. وما نخشاه أن يكن كما قال الله تعالى: ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: الآية ١٢].

إذ يفرطن في العبادات، بل ويفرطن حتى في الواجبات الحياتية. وقد قيل: البطنة تذهب الفطنة.

«والإسراف في الأكل مذموم وهو مجاوزة الحد، أما من أكل بنية الاستعانة على عبادة كان مأجوراً على ذلك»[1].

وما يعرف قديماً وحديثاً أن من الداء إدخال الطعام على الطعام.

وما نجده ـ للأسف ـ أن كثيراً من النسوة تشغلهن اهتمامات المطبخ عن غيرها، فيذهب أكثر وقتهن في التفنن بألوان الطعام والشراب... ومن ثم تتعالى الشكوى، ويكثر الأنين من أمراض كان من أسبابها تلك التخمة والشراهة بغير حساب!

فيبحثن عن ما يسمى (بالريجيم) ليلتزمن به عسى ولعل تخف الآلام...

---

(١) الفتاوى لابن تيمية، حـ٣٢/ ٢١٢.

الجميع أن النفقات في رمضان أضعاف غيره من أشهر العام. وذلك بدل الاقتصاد فيه، والشعور بمشاعر الفقراء والمحتاجين، والإكثار من الصدقات لهم.

واستعدادات الناس للشهر بتكديس الطعام والشراب، يشهدها كل من يزور الأسواق ـ ومن لم يصدق فليزر عيادات الأسنان والباطنية في ذلك الشهر ليرى ما يسببه الشره وتبذير النسوة...!!

نعم! ومن وراء ذلك غير تدبير ربات البيوت، أو بالأحرى عدم تدبيرهن؟!

ـ **أما في الثياب**: فاللباس كما ذكر ابن تيمية رحمه الله له منفعتان: إحداهما الزينة بستر السوأة، والثانية الوقاية لما يضر من حر أو برد أو عدو[1].

فمن يتقيد بهذه المعاني في أيامنا هذه؟! اللهم إلا المؤمنات الفاضلات. أنى وجدنا المرأة ـ إلا من رحم الله ـ وقد جعلت جل اهتمامها بالموضات وأماكن التنزيلات... تسترسل في الشهوات الفانية لا تقف عند القليل، ولا يقنعها الكثير... تشغلها مظاهر الفخر والمباهاة وتهمها أكثر من أمور أمتها!!

فيا للسخافة، كم تعمل في التافهات.. تلتهم المال وتخلب العقول!

ـ كانت (مراقبة) في العقد الثالث من عمرها، تتجول في ساحات المدرسة تضبط نظامها، وتمضي نهارها في تعب ونصب، وإن جلست ففي كل لحظة معرضة لطلب من المديرة، أو الطالبات، أو حتى الفراشات إنه العمل يناديها...

سئلت مرة: بالله «يا فلانة، ماذا تعملين براتبك، إذ لا مسؤولية زوج أو أهل أو أولاد، فردت قائلة: بصراحة آخر كل شهر «أملي» شنطة ملابس بحوالي

---

(١) الفتاوي، حـ١٥/٢١٧.

(٥٠٠ دولار)»!!

أهذا شأن أمة مستهدفة من أعدائها؟!

ـ وفي الأفراح لا تسل عن العادات السيئة، من إسراف شنيع في الملابس، وتجهيزات العروس وكم ينفق عليها، وما تلبسه المدعوات فما يلبس مرة لا يعاد لبسه ثانية! وقد تتعمد المرأة لبس النادر الغريب وتتكلف في ذلك أي تكلف، لا يهمها إلا بداعة التصميم، وحبذا لو كانت ملابسها فريدة في نوعها.

وهذا البلاء قد تنجو منه المتدينة أحياناً، وقد توجد لنفسها ألف مبرر ومبرر؟!

ـ كانت (شابة) في مقتبل العمر، اتصلت به ليلة العيد، لتكلمه أمام أهله وتطلب منه أن يشتري لها ثوباً يكلفها مبلغاً لا تستطيع تسديده. فلجأت إلى الشاب بتلك الصورة المهينة ترجوه، تتنازل عن كرامتها.. عن أنوثتها، عن دينها الذي يأمرها بالتعفف ويدعوها إلى الحياء.

كان ذاك الشاب ابن جيرانها الذي كانت تمنيه بأن يصبح يوماً ما خطيباً لها...!

ألا قاتل الله مظاهر السرف المقيتة، فكم أودى الحرص عليها بكرامة الناس؟!

ـ **السرف في المساكن وأثاث المنزل**: وهو داء توسع الناس به في هذا العصر. ونماذج الإسراف في هذا المجال كثيرة:

ـ امرأة (جشعة) قد تجاوزت الحد في إسرافها ومطالبها.. كانت عند زيارتها للناس تقلب عينيها فيما حولها من أثاث ومتاع وأجهزة كهربائية وغيرها...

فإن أعجبها ما لديهم تندفع بكل حمق وطيش لتتخلص مما لديها من

أجهزة وأثاث، كي تحصل على بديل مماثل لما رأته عند الناس، رغم أنه ما عندها قد يكون أفضل مما رأته. أما عن كيفية تخلصها من الشيء الذي تريد تبديله. فإن ذلك يكون إما بتخريبه إن كان جهازاً كهربائياً أو يدوياً أو حتى ثياباً أو ترميه في الشارع إن كان أثاثاً أو إعطائه لمن يرغب وإراحتها منه»[1].

ـ وامرأة كانت تطلب من الملابس والأثاث الكثير، وكلما حصلت على شيء تقالّته واحتقرته، بدلاً من حمد الله ـ وتطلب المزيد... لا لحاجة بل حباً في التغيير... وبحجة التجديد والتطوير، وتزيين البيوت وتزويقها.

ـ هذا وقد أصبحت الأواني الفضية تحتل ركناً رئيسياً في المنزل فأين نسوتنا من حديث المصطفى ﷺ:

«لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة»[2].

أين النفوس الملتزمة بآداب السنة المطهرة، وأين القدوة الحسنة في حياة نساء المسلمين؟!

ولا ننسى أن الواجب أن تنضبط أمورنا بالشرع:

فالمساكن لها منفعتان: إحداهما السكون فيه لأجل الاستتار فهي كلباس الزينة من هذا الوجه. والثاني الوقاية من الأذى من الشمس والمطر والريح ونحو ذلك. فجمع الله الامتنان بهذين فقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ [النحل: الآية ٨٠]. وأما فائدة الوقاية فقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾[3] [النحل: الآية ٨١].

---

(١) الموضة في التصور الإسلامي، ٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في باب الأكل في إناء مفضض رقم الحديث، ٥٤٢٦.

(٣) الفتاوى: جـ١٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠.

وما تعدى ذلك فهو مجاوزة للحد، وهو السرف المقيت.

ـ ومن صور الإسراف طغيان المظاهر الزائفة:

إننا أمام سيل جارف من المظاهر، والإنفاق السخي بل السخيف لتحصيلها! والمشاهد الصارخة على هذا الطغيان لا تعد ولا تحصى...

ـ ففي عرس إحداهن، وفي كبرى صالات الأفراح، حدث مشهد تقشعر لوصفه الأبدان... كانت العروس تتبختر ماشية، ليس على سجاد فاخر وإنما على نقود ورقية، مما تساوي الواحد منها (١٥٠ دولار) وقد ألصقت بجانب بعضها لتكون معبراً للعروس تمر عليه أثناء زفافها في الصالة!! إن لم يكن هنالك من وازع ديني، فأين الرادع الأخلاقي أو الاجتماعي؟! ألا يخشى هؤلاء فقراً وذلاً لا تنفع بعدهما الندامة؟!

أين المترفون من أصحاب القصور؟! أين اللواتي رش في أعراسهن اللآلىء واليواقيت؟! لقد ذهبوا وأصبحوا عظاماً نخرة، وأصبحوا أمام تفريطهم المشين.

ـ كانت (فلانة) تصد المحتاجة ولا تأبه لها...

ودارت الأيام دورتها ثم أصبح لمحتاجة الأمس مركز إجتماعي ووظيفة لها اعتبارها... فأضحت هي المحترمة وهي التي تتصدر المجالس... و(فلانة) تنفق عليها بسخاء ترجو أن تنال خطوتها!

إنه المظهر الزائف يخلب لبها، ما إن يضمها مع محتاجة الأمس مجلس، حتى تفتح (شنطتها) وتخرج سيجارتها وتقدمها إليها تزلفاً... تدعوها إلى الملاهي، وتغدق عليها في الهدايا.

ـ وهذه امرأة إن زارتها صويحباتها، عملت جهدها لذلك الاستقبال، لتظهر بالمظهر اللائق (كما كانت تقول) بين أنواع مختلفة من الحلويات والمأكولات فضلاً عن مظهرها الشخصي ومظهر البيت ومن فيه... وإذا طرقت

باب منزلها سائلة أو امرأة فقيرة، فالتجهم رائدها والضيق بهن قد يخرجها عن طورها!

أو ليس «شر الطعام طعام الوليمة يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأباها»[1]؟!

سؤال ينتظر ربات القلوب الرقيقة الرحيمة... وينبئك عنه مرارة الواقع الأليم!

والنماذج كثيرة والمصائب بهؤلاء أشد، فتلك فتاة بلغ بها العبث بالمال غايته، أنفقت حتى آخر دريهمات... ومن ثم اتجهت إلى الاستدانة، إنها «**تتدين لتتزين**» كما يقال.

حتى إذا أثقلت نفسها بأعباء مالية تفوق طاقتها، لم تستيقظ من غفوتها إلا على دوي الضجيج بسبب المشاحنات الأليمة التي عصفت بكيان أسرتها ولم تنفعها السيارات الفارهة والرحلات الموبوءة إلى بلاد العالم المختلفة...!

ـ وأخيراً لعل زيارة **إلى الأسواق ترينا وضع** المرأة المشين، . وتوقفنا على تطلعاتها الأرضية الهابطة. وإقبالها النهم على الاستزادة حتى لا ينظر إليها نظرة المتخلفة أو أنها من طبقة دون غيرها!

أو ما علمت أن «أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»[2]؟!

ونظرة إلي بيوت التجميل خاصة فهي خير مشاهد على إسراف النساء بل وسفاهة الكثيرات من عابدات الموضة، ينفقن بلا حدود... ويحسبن أنفسهن

---

(١) الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. (عن صحيح الجامع الصغير، ١/ ٦٩٠.

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، صحيح الجامع الصغير، ١/ ٩٥.

بعد ذلك مقترات! إذ في الأسواق أغلى مما تسوقنه فقد ضحت إحداهن، فيا للمهزلة!

لقد كن ينتظرن بتقليد عارضات الأزياء، في زيهن وعطورهن، أن يصبحن مثلهن في الجمال الجسدي، في المظهر الخلاب، في لفت الأنظار النهمة، بل في جلب الآثام والخزي في الدارين.

حقاً لقد أصمهن حب الدنيا وأعمى أبصارهن...

٧ ـ من آداب المرأة الغنية

المال وديعة الله عند عباده، وبالشكر تدوم هذه النعم... ومن شكر الله تعالى على نعمه التي أفاض الله بها على المرأة أن:

● **تؤدي حقوق الله في المال**، فقد جعل الله سبحانه وتعالى الزكاة طهرة للمال ولصاحبه. وقيد النعمة به على الأغنياء. فما زالت النعمة بالمال على من أدى زكاته. بل يحفظه عليه وينميه له ويدفع عنه بها الآفات ويجعلها سوراً عليه وحصناً له وحارساً له»[١].

وما أحسن ما قاله سيد قطب رحمه الله:

«الزكاة طهارة للقلب والمال. طهارة للقلب من الشح، واستعلاء على حب الذات، وانتصار على وسوسة الشيطان بالفقر، وثقة بما عند الله من العوض والجزاء. وطهارة المال تجعل ما بقي منه بعدها حلالاً طيباً لا يتعلق به حق إلا في حالات الضرورة...

والزكاة صيانة للجماعة من الخلل الذي ينشئه العوز في جانب، والترف في جانب، فهي تأمين اجتماعي للأفراد جميعاً وهي ضمان اجتماعي للعاجزين، وهي وقاية للجماعة من التفكك والانحلال»[٢].

ومن شكر الله على نعمه صدقه تعطيها ذوي الحاجات، فلا تبخلي ـ أختي الموسرة ـ بها. ولا تضيعي فرصة الحسنات بالشح والبخل.

إن طلبت منك المساعدة، فلا ضجر ولا تأخير، إنه خير ساقه الله إليك،

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم، جـ١/ ١٤٧.

(٢) الظلال، م٤/ ٢٤٥٥.

يثمر في الدنيا حباً ومكانة، وفي الآخرة صفحاً عن الذنوب وستراً للعيوب. **والمسلمة التقية لا تقصر عن حق حتى مع العداوة:** فلا يجوز ترك ما يجب من الإحسان للإنسان بمجرد ظلمه وإساءته في عرضه كما لا يمنع الرجل ميراثه وحقه من الصدقات والفيء بمجرد ذنب من الذنوب[1].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور: الآية ٢٢].

والآية نزلت في أبي بكر (رضي الله عنه) وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره. فقال أبو بكر والله لا أنفق على مسطح شيئاً بعد الذي قال في عائشة (في حديث الإفك). فلما نزلت الآية وقوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور: الآية ٢٢]، قال أبو بكر رضي الله عنه: بلى والله لا أنزعها منه أبداً)[2].

وبأداء الحقوق تكون للمسلمة سيرة عطرة لبعدها عن التقصير، ولدوام المعروف والفضائل الجمة المغروسة فيها.

إن ما نجده أن المال كلما ازداد وفرة وكلما كثرت النعم وعمت، تزداد الكثيرات حرصاً وطغياناً وشرهاً ـ بدل شكر المنعم على نعمائه ـ لهو دليل على ضعف الإيمان.

فيا أختي المؤمنة، يا من تتطلعين إلى النعيم المقيم، سارعي إلى أداء حق الله في ما بين يديك من مال، أقدمي أختاه على العطاء بنفس سخية. اجعلي للمحتاجين والمحتاجات نصيباً في مال الله الذي آتاك إياه. لا يقعدن بك حب المال عن الصدقات والله تعالى ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٦] فيزيد المال نماء وما نقصت صدقة من مال قط.

ـ ومن **آداب الغنية، البعد عن المنّ بعد العطاء:** فذلك يؤذي المحتاجة

---

(١) الفتاوى لابن تيمية، جـ١٥/ ٣٥٠.

(٢) ينظر البخاري في المغازي باب حديث الإفك.

ويجرح مشاعرها. (والمن عنصر لئيم وشعور خسيس، فالنفس البشرية لا تمن بما أعطت إلا رغبة في الاستعلاء الكاذب، أو رغبة في إذلال الآخذ أو رغبة في لفت أنظار الناس، فالتوجه إذن للناس لا لله بالعطاء. وكلها مشاعر لا تجيش في قلب طيب؛ ولا تخطر كذلك في قلب مؤمن»[1].

وقد قال الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦٢].

وإذا كان المعطي محتسباً للأجر عند الله، مصدقاً بوعد الله له، طالباً من الله وحده لا من الذي أعطاه، فلا يمن عليه.

كما لو قال رجل لآخر: أعط مماليكك هذا الطعام، وأنا أعطيك ثمنه فهو لا يمن على المماليك، لا سيما إذا كان يعلم أن الله قد أنعم عليه بالإعطاء)[2]. فبأي حق تمن الموسرة على المعسرة؟! والمال مال الله، وما هي إلا أداة وضعت المال كما يريد رب المال!

وما ذنب المحتاجة المسكينة حتى تعير؟! أما يكفيها ما هي فيه من آلام وجراح؟!

فالواجب أن يكون العطاء مع صدق الود وجميل الرعاية ولا تفسد عملها بالمنّ والأذى:

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن ... ليس الكريم إذا أسدى بمنان

فكم امرأة هدمت أسرتها بسوء صنيعها، أعطت لزوجها المحتاج من مالها، سواء كان راتباً لها، أو مما ورثته عن ذويها...

---

(١) الظلال، م١/٣٠٦.

(٢) الفتاوى، جـ١٤/٣٣١.

ثم أتبعت ذلك بالمنّ على أقرب الناس إليها فخسرت مالها وخسرت شريك حياتها. وقد قيل: المنة تهدم الصنيعة.

ومن آداب الغنية:

تختار الصدقة من خير مالها: قال بعض السلف: لا يهدي أحدكم الله تعالى ما يستحي أن يهديه لكريمه وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦٧] وقد قرب ابني آدم قرباناً وتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر. وقد ذكر أن سبب ذلك أن أحدهما قرب نفيس ماله، والآخر قرب الدون من ماله)[1] هذا وقد كان أبو طلحة (رضي الله عنه أكثر أنصاري المدينة مالاً من نخل فقال: يا رسول الله إن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال عليه الصلاة والسلام: «**بخ بخ. ذلك مال رابح وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**»)[2].

ولا تهتك أستار المحتاجات: بل تسد جوعتهن وتستر عورتهن وتحسن إليهن بنية خالصة لله وحده. لا تنتظر أن يذاع عمل الخير أو يشاع حتى يشار إليها بالبنان... بل تؤتي ما أتت وهي تخشى عواقب التقصير: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٦٠] وقد قال ابن القيم رحمه الله ـ في الفوائد: لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء إلا كما يجتمع الماء والنار.

وخير الصدقات ما كانت دون علم الفقيرة. فتتلطف التقية في إيصال الصدقة بأي طريق ممكنة، سراً وبطريقة كريمة لا تذل أختها بها. عسى أن تكون بسبب صدقتها الخالصة من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل

---

(١) الفتاوى، ٣١/ ٢٥١.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة ومسلم في الزكاة أيضاً.

إلا ظله، ومنهم: «**رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»(١).

أما إذا كان في إظهار الصدقة دافع للآخرين للقيام بالواجب، ومشجع للعطاء واستحثاث لهم لعمل الخير، فلا بأس به.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧١].

البعد عن الكبر:

فلا تغتر الصالحة لإقبال الدنيا عليها ولا تزدري من ألجأتها الحاجة لها.

إنها بعيدة عن الاستعلاء والمباهاة. حريصة على التواد والتراحم، تستميل القلوب بحلو كلامها مع حسن فعالها وطيب نفسها.

والمتكبرة جاهلة حمقاء تبوء بمقت الله ومقت من حولها. وقد قيل: لا يطمعن ذو الكبر في حسن الثناء ولا الشحيح في المحمدة.

ولا تحصل المتكبرة إلا على بغض حتى أقرب الناس لها. فالكل سينبذها ويضيق ذرعاً بخيلائها.

إنها لو تأدبت بأدب الإسلام لما استعظمت نفسها واحتقرت غيرها... ولو تذكرت موقفها يوم الحشر لما أنفت من المساواة معهن ولما أذاقتهن ألوان الأذى بالازدراء والترفع عليهن.

ـ لقد رأوها تشتري من المتجر، والبائع يعرض عليها بضائعه.. وكلما عرض شيئاً لوت شفتها وردته باستهجان ثم قالت: أهذا لي، هذا للفقراء غيري!!

---

(١) من حديث متفق عليه.

ومرت الأيام فإذا بزوجها يصاب بمرض أقعده عن العمل، بل أفقده قواه العقلية وأنفقت ما لديها من وفر مدخر... ثم باتت تعيش على إحسان ذوي الفضل، فهل من معتبر؟![1]

وقد قال جل شأنه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٠].

وفي سورة القصص عبرة في قصة قارون: (قال له قومه: لا تفرح فرح المنبعث من الاغترار بالمال والاحتفال بالثراء والتعلق بالكنوز والابتهاج بالملك. لا تفرح فرح البطر الذي ينسي المنعم بالمال، وينسي نعمته وما يجب لها من الحمد والشكر له. لا تفرح فرح الذي يستخفه المال فينشغل به قلبه ويطير له لبه ويتطاول به على العباد)[2].

لتقتد المسلمة بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حسها المرهف عند إعطائها الصدقة، واحتسابها الثواب من الله لا من سواه:

كانت عائشة إذا أرسلت إلى قوم بصدقة تقول للرسول: اسمع ما يدعون به لنا حتى ندعوا لهم بمثل ما دعوا لنا ويبقى أجره على الله.

وقال بعض السلف: إذا قال لك السائل: بارك الله فيك، فقل: وفيك بارك الله[3].

ومن آداب الغنية: أن تكون بعيدة عن الإسراف:

فإن نازعتك نفسك أختي المؤمنة، فلا تلبي جميع رغباتها، الواعية منها والعابثة. فالمسلمة التقية تنبذ الترف، ولا تنفق مالها بطريق خاطىء بل تضع كل قرش في موضعه، لا تسرف في المباحات ولا تتخلف عن واجب ديني. ولا

---

(١) أدب الصحبة، ص١٣٢.

(٢) الظلال، ٥/ ٢٧١١.

(٣) الفتاوى لابن تيمية جـ ١/ ١٨٨

ترضى أن تكون فتنة للرجل في دينه وماله، لا ترضى أن تنتهب في دنياها الملذات ولا تبالي إذا خلت صحيفتها من الحسنات.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وأن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[1]. إن التبذير على وسائل الإغراء فتنة لتعي ذلك من تزيد الطلبات وتكدس الزينة والمقتنيات من المجوهرات الثمينة وغيرها.

والمسلمة العاقلة لا ترضى أن تكون لعبة للشيطان وأعوانه، تسير حسب خططهم... إنها تعرف أن اللذة الوقتية والراحة الموهومة ليست هدفاً من أهدافها. فتنهض بأعباء قد يعجز عن حملها الرجال وهي التي اختصها الله بالحس الرقيق وحباها بالقلب الرؤوف الشفيق. تتألم لألم المنكوبين وتهب لمعونتهم فتصبح الدنيا أكثر بهجة وسروراً وإشراقاً وهي تدخل السعادة لقلوب الآخرين من المسلمين.

ومن الآداب التي دعا إليها الإسلام، ونذكر المسلمة الغنية بضرورة الالتزام بها:

ـ **السماحة في التعامل**: لحديث الرسول ﷺ: «**رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا قضى، سمحاً إذا اقتضى**»[2] فلا تعيش

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الرقاق باب الفتنة بالنساء.

ومعنى اتقوا الدنيا: تجنبوا الافتتان بها وبالنساء وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن وأكثرهن فتنة الزوجات ودوام فتنتهن وابتلاء الناس بهن. ومعنى الدنيا خضرة حلوة: يحتمل أن المراد به شيئان: أحدهما حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة: فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً فكذا الدنيا. والثاني: بسرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين) شرح مسلم للنووي، جـ١٧، ٥٥.

(٢) رواه البخاري عن جابر رضي الله عنه، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١/ ٦٥٧.

للمادة، ولا تستعبدها الأموال. ولا تنصب من نفسها محاسباً لمن تتعامل معهم. لا سيما إذا كان زوجها أو أحد من ذوي الحقوق (كالأرحام والوالدين...) وإلا كيف تكون صلتهم إذا فقد التسامح في المعاملات المادية؟! تقدر ظروف المعسرين منهم، وتعينهم بسخاء نفس. والبذل السخي من صفات المؤمنين الصادقين. ألا ما أحوجنا أن نجعل من مالنا وسيلة لكل خير. فلا تستعمل المال لإضرار الآخرين مادياً أو معنوياً. كمن تستعمله في الرشاوي المحرمة. أو كمن تستعمله لنشر القصص الماجنة أو الأغاني الخليعة، مما يضر الناس ويفسد عليهم دينهم وأخلاقهم. فكم من مال استخدم في تشجيع المحرمات؟! وكم من مال منع عن ذوي الحاجات؟!.

تباً لمال يكون سبباً في قطع الأواصر... وطريقاً يوصل صاحبته إلى النار! **والتقية تحفظ مال زوجها وتقتصد به:**

كل كما أشرنا به سابقاً كان عن حفظ المرأة لمالها الخاص لها. ونلاحظ أن حفظ مال زوجها هو من الأولوية بمكان... فهي مستأمنة عليه، وستسأل عنه يوم القيامة، فضلاً عن أن لكل فرد من أفراد العائلة حق فيه.

وقد يغفل الزوج عن كيفية تصريف ماله. فهو يضع «مرتبة الشهري» مثلاً بيد زوجته التي يفترض فيها أن تكون مدبّرة، فلا يمر أسبوع أو أكثر إلاّ وقد نفذ ما بيدها!

فإن حصل هناك أمر طارىء يستوجب النفقة، كوعكة صحية لأحد الأبناء أو للمرأة نفسها... فلا يجد الزوج من ماله شيئاً، إذ تكون «المرأة» قد أنفقته على كماليات فارغة وأمور يجدر ألا تلقي لها بالاً... مما قد يسبب الشجار والخلاف المدمر للأسرة...

على المرأة تجنب مثل هذه المواقف المحرجة والمؤلمة أيضاً. وأن تتذكر مسؤوليتها أمام الله عز وجل.

وعلى الرجل أن يشعر زوجته بقوامته فيرى ويلاحظ ويتابع بحصافة مجالات صرف المال، يسألها باعتدال وبدون مبالغة ومع إشعار المرأة بالثقة

بنفس الوقت مما ينظم أمور البيت، ويعود على الجميع بالخير والفائدة.

هذا، وهنالك ظاهرة شائعة للأسف تدل على ضحالة تفكير بعض النساء، فهن يتناصحن ـ وحاشا لمقولتهن أن ترقى لمستوى النصح:

«لا تجعلي المال يجري بيد زوجك، إنه بذلك تسوء أخلاقه، وتفسد طباعه... بعثري ماله وإلا قد يتزوج بأخرى...!».

ومباشرة يرتفع المؤشر ـ كما يقال ـ ويدق جرس الخطر، وتبدأ المسكينة في تنفيذ ما قيل لها، فتسرف وتبذر متناسية أن المال المدخر سيعم رخاؤه على الجميع، وأنها بتصرفاتها «اللامسؤولة» قد تعرض نفسها وذريتها للفاقة والمشكلات.. والمقدر كائن لا محالة.

هلا تأست بالسلف الصالح! أمثال أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، جاءت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله، ليس لي شيء إلا ما أدخل عليّ الزبير فهل عليّ جناح أن أرضخ مما يدخل عليّ؟ قال عليه الصلاة والسلام: **«ارضخي ما استطعت ولا توعي فيوعي الله عليك»**[1].

فحبها للصدقة لا يجعلها تتصرف في مال زوجها إلا بعد سؤاله عليه الصلاة والسلام.

بمثل هذه التصرفات المنضبطة بالشرع يرغد العيش وتتآلف القلوب. وبذلك الاعتدال تستقيم الأسر المسلمة، فلا إسراف ولا تقتير... أختي المسلمة: لا تظني أن الحديث عن المال هو من قبيل التشبث بالمادة، والاهتمام الزائد بها، وإنما هي نظرة الشرع الحنيف:

قلا يكفي أن يكون تملك المال من طرق الحلال (كالميراث والهبة

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، ينظر الترغيب والترهيب، ٢/ ٦٠.
ومعنى أرضخ: أعطى قليلاً. لا توعي: لا تجمعي وتشحي بالنفقة فتجازي بتضييق رزقك.

والأجرة...) وإنما لا بد من البعد عن الخلل في إنفاقه، وكبح جماح النفس لئلا تغرق في الماديات المهلكة.

أعاننا الله وإياك على اغتنام الفرص الطيبة قبل فوات الأوان، فقد قال رسولنا ﷺ في حديث له: «**اغتنم خمساً قبل خمس ومنها: وغناك قبل فقرك**»[1]. ولندع الله جلت عظمته أن يعيننا على صدق النية وسلامة القصد في كل أعمالنا، فلا تكون أعمالنا حجة علينا، أعاذنا الله أن نكون من الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار: من تعلم علماً ليقال هو عالم قارىء والآخر من قاتل ليقال هو جريء شجاع، والثالث من تصدق ليقال: «هو جواد كريم»[2].

---

(١) أخرجه الحاكم موصولاً عن طريق ابن عباس وصححه ووافقه الذهبي ينظر شرح السنة ١٤/ ٢٢٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة والترمذي في الزهد.

٨ ـ إنذار من النذير المبين

أختي المؤمنة، أختي الموسرة، أختي المترفة: إليك أذكر بهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لتقومي بحق المال قبل فوات الأوان:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٤] .

وعن ابن عمر رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا**»[(١)].

وها نحن المسلمين، نرى البشرية المنكوبة قد فشت فيها الأمراض الغريبة، وكثرت فيها سنوات القحط والزلازل وجور السلاطين.

وها نحن نرى الناس كلما كثر مالهم وازدادوا غنى، ازداد إقبالهم على الدنيا وتنافسهم: وصدق المصطفى ﷺ إذ قال: «**فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**»[(٢)].

---

(١) الحديث رواه البيهقي والحاكم: وقال الألباني: حديث صحيح، ينظر صحيح الجامع الصغير، ٢/ ٢٣٢١.

(٢) من حديث متفق على صحته، ينظر شرح السنة، ١٤/ ٢٥٦.

وفي تحذير الرسول الكريم ﷺ من التنافس على الدنيا، ومن الخيلاء واستخدام أبناء الأمم السابقة، وحينذاك يسلط الأشرار ويتحكمون بأمور المسلمين: روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمها أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلط شرارها على خيارها**»[1] أختي المسلمة: لا يغرنك أن خدمتك مسلمة ألجأتها الحاجة للعمل عندك. وسعت راضية لتلبية طلباتك، قد تكون هذه الخادمة أفضل منك عند خالقها لأنها أدت ما عليها من الحقوق، قد تكدح في سبيل الله لأبوين شيخين... وقد تكدح لتعف نفسها عن ذل الحاجة... وقد تكون من أسرة كريمة ذات جاه ومال ألجاتها الحاجة إليك، والدنيا دول يوم لك ويوم عليك.

وأنت يا من تنفقين للمظهر وللتفاخر أو للشهوات، هيا إلى فعل الصالحات وعمل المكرمات بدل الاستغراق في الملذات.

فكفاك يا ذات القلب الرقيق هذا الإنذار وهيا إلى صف المؤمنات التقيات القائمات بواجباتهن بعيداً عن الغفلة. لا سيما وأن حب الدنيا والانغماس بها سبيل لخسران الدنيا نفسها فضلاً عن خسران الآخرة.. إنها الدنيا الغرارة الخداعة إنه التكاثر في المال والبنين... إنه الهلاك بالتعلق بالدنيا وأي هلاك!

عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**». قيل يا رسول الله فمن قلة يومئذٍ قال: «**لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهن في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت**»[2].

فها نحن أمة ازسلام، أصبحنا نهباً... للأمم تتناحر علينا على خيراتنا

---

(١) رواه الترمذي وهو صحيح كما قال الألباني، صحيح الجامع الصغير ١/ ٢٠٠ والمطيطاء: مشية فيها تبختر ومد يدين.

(٢) رواه أحمد وأبو داود. وهو صحيح، المرجع السابق، جـ٢/ ١٣٥٩.

على بلادنا كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها رغم تعدادنا الذي تجاوز المليار من المسلمين ولكن ما نخشاه أن يكونوا كغثاء السيل. . . أعاذنا الله من عواقب أعمالنا.

أي أخية:

جددي عزيمتك لتؤدي حق الله. آنسي إخوانك المؤمنات واسيهن بمالك، تفقدي مصالحهن.

لا سيما و«الدنيا دار من لا دار له ومنها يجمع من لا عقل له»[1].

(١) رواه أحمد، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير دريد وهو ثقة ينظر شرح السنة، ٢٨٨/١٠.

الفصل الثالث

الإنفاق وأعمال البر

١ . نحو الاعتدال يا إماء الله

٢ . أولويات الإنفاق

٣ . نحو ترشيد الإنفاق والصحوة النسائية

٤ . صور من أعمال البر

٥ . واجبات الرجل نحو أهله

١ ـ نحو الاعتدال يا إماء الله

الاعتدال شعار الصالحات التقيات، قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣] .

وحقاً على من كثرت نعم الله تعالى عليها أن تقوم بواجبها، فتحمد الله عليها، وتضعها حيث يريد المنعم والمتفضل بها.

إنه لا يكفي أن يؤخذ المال من حله، بل لا بد أن يوضع في حقه أيضاً. فأمتنا بحاجة إلى كل قرش ليوضع في مكانه المناسب.

لا يقال نمتنع عن الملذات، بل لا نجمع ما لا نستفيد منه ولا نكدس ما يكون وبالاً علينا..

قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: الآية ٥١] فمن أكل من الطيبات ولم يشكر ولم يعمل صالحاً كان معاقباً على ما تركه من الواجبات ولم تحل له الطيبات...

فإن الله تعالى إنما أحلها لمن يستعين بها على طاعته، لا لمن يستعين بها على معصيته... ومن حرم الطيبات التي أحلها الله من الطعام واللباس والنكاح وغير ذلك، واعتقد أن ترك ذلك مطلقاً هو أفضل من فعله لمن يستعين به على طاعة الله كان معتدياً معاقباً على تحريمه ما أحل الله ورسوله وعلى تعبده لله تعالى بالرهبانية ورغبة عن سنة رسول الله ﷺ، وعلى ما فرط فيه من الواجبات. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ومن امتنع عن نوع من الأنواع التي **أباحها الله على وجه التقرب بتركها فهو مخطىء ضال. ومن تناول ما أباحه الله من الطعام واللباس مظهراً لنعمة الله مستعيناً على طاعة الله كان مثاباً على ذلك.**

وقد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: الآية ٨] أي شكر النعيم، فيطالب العبد بأداء شكر نعمة الله على النعيم. فإن الله سبحانه لا يعاقب على ما أباح وإنما يعاقب على ترك مأمور وفعل محذور[١].

وكان يقال قديماً: لا تصن كثيراً عن حق، ولا تنفق قليلاً في باطل! وأيم الله فهذا هو عين الحكمة.

فما الحد لكفاية المرأة بالمعروف:

إن ذلك يتنوع حسب حالة الزوجة في حاجتها وبتنوع الزمان والمكان وبتنوع حال الزوج في يساره وإعساره. وليست كسوة القصيرة الضئيلة ككسوة الطويلة الجسيمة. ولا كسوة الشتاء ككسوة الصيف. ولا كفاية طعامه كطعامه. ولا طعام البلاد الحارة كالباردة. ولا المعروف في بلاد التمر والشعير كالمعروف في بلاد الفاكهة والخمير[٢].

فالكفاية إذن تختلف حسب الحاجة والعرف الشائع بحدود المباح.

فالمسكن: تكون سعته على قدر الحاجة دون مبالغة. وما الغرف والمساكن المغلقة إلا شاهداً على أصحابها بالسرف.

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**إن المسلم يؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب**»[٣].

وكذلك الأثاث فيكون دون مبالغة، وتستعمل الأدوات في مقاصدها. عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأحدثكم بما فعل النبي ﷺ إنه خرج في غزاته، فأخذت نمطاً (بساطاً له وبر) فسترته على الباب. فلما قدم فرأى النمط عرفت

---

(١) الفتاوى لابن تيمية، جـ٢٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٢) المرجع السابق، جـ٣٤/ ٨٦.

(٣) أخرجه البخاري، ينظر شرح السنة، ١٤/ ٢٨٠.

الكراهية في وجهه، فجذبته فهتكته (أي مزقته) وقال عليه الصلاة والسلام: **«إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين. قالت: فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفاً. فلم يعب ذلك عليّ»**[1].

فنلاحظ أنه ﷺ نهى عن كسوة الحجارة والطين. بينما لم ينه أبداً عندما حولت زوجته أم المؤمنين رضي الله عنها ذلك القماش نفسه إلى كسوة للوسائد، حيث أنه في الحالة الأولى كان استعمال القماش في غير نفع ولا ضرورة. وإنما كان ذلك لمجرد التبذير والإسراف في الزينة.

وفي الحالة الثانية: كان استخدام القماش نفسه لمنفعة فلم يعترض عليها. وتجدر الإشارة إلى أن ما يفعله بعض الناس من تغطية النوافذ والأبواب التي يحتمل عند فتحها كشف عورة البيت ورؤية الناس خارجه لمن هم داخله، فإن ذلك أمر مستحب بل هو واجب لما فيه من ستر العورة. وإنما الأعمال بالنيات كما هو معلوم شرعاً.

وبين الإسلام أن الأثاث الفائض عن حاجة الإنسان يعتبر إسرافاً وخيلاء. فعن جابر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«فراش للرجل وفراش لامرأته، والثالث للضيف والرابع للشيطان»**[2] هذا إذا لم يكن لهم أولاد وإلا لزم الفراش الذي يكفيهم»[3].

وفي ذلك عبرة لمن تكدس الأثاث بلا فائدة.

فهل وعت سنة المصطفى من تستر جميع الجدران للديكور ـ لا لشيء إلا مراعاة للألوان والأذواق والمظاهر الزائفة؟!

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

(٢) رواه مسلم وأبو داود.

(٣) الموضة في التصور الإسلامي، ١٠٦.

أما في الملابس: فالكفاية فيها تكون فيما يدفع حر الصيف وبرد الشتاء ويستر الجسم. إنه لباس مثيلاتها المعتدل بعيداً عن الشهرة في المترفع أو المنخفض منها أما تكديس الثياب ومتابعة آخر خطوط الموضة فيها، وملاحقة لافتات التنزيلات، فليس ذلك من شيم الصالحات و«من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة».

وفي المأكل: تتوخى المسلمة الحلال الطيب، ومن شيم المسلم أن يبتعد عن الشبع المفرط: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: **«المسلم يأكل في معي واحد والكافر في سبعة أمعاء»**[1].

أما ادخار الأطعمة والمبالغة في التنعم فهي من أخلاق المترفات. فالمسلمة لا تذهب غالب أوقاتها في حاجات الطعام والإعداد للموائد الفاخرة. فهي حاجات تقدر بقدرها، وليس المهم ألوان الطعام والشراب والتفنن فيها، ولو ذهب إعدادها بجلّ وقت المرأة الذي ستحاسب عليه!

حسبها وجبة تقيم البدن، تغذيه، تعينه على طاعة الله، على تربية الأبناء، على الدعوة الواجبة لبنات جنسها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله ﷺ وليس عندي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رق لي، فأكلت منه حتى طال عليّ، فكلته ففني[2].

لقد بارك الله لها فيه فلما كالته أي قدرته وأحصته وتوجهت همتها إليه وتعلقت به فني.

فإلى التوسط في المأكل والمشرب أختي المسلمة... إلى الاعتدال فإنه

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم ومالك وغيرهم.

(٢) البخاري ومسلم والترمذي ينظر الترغيب والترهيب جـ ٢٠٤/٤ والرّق: الجلد.

سمة المؤمنات في كل أعمالهن حتى أعمال الخير:

فقد جاء في حديث الرسول ﷺ قال: «**سددوا وقاربوا فإنه لن يدخل أحد الجنة بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمته واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل**»[1].

(١)أخرجه مسلم في كتاب صفات المؤمنين وأحكامهم. ومعنى: سددوا وقاربوا: اطلبوا السداد واعملوا به، وإن عجزتم فقاربوه أي اقربوا منه. والسداد: الصواب. وهو بين الإفراط والتفريط. فلا تغلوا ولا تقصروا. ينظر شرح صحيح مسلم /١٦٢/١٧ .

٢ ـ أولويات الإنفاق

على الموسرات وصاحبات الثراء واجب كبير يفوق غيرهن.

والمحسنة تنفق في الوجوه المحمودة شرعاً، فهي لا تألو جهداً في عمل الخير أياً كان من حج وعمرة وأضحية وزكاة. ولا تضن بما منحها الله أن تعطي فائضه ذوي الحاجات فضلاً عن ذوي الحقوق. فتكسب بعمل الخير من الدعوات الصالحات ما يسعد عيشها ويثقل ميزانها.

فإذا كان لك مال أو مصدر للدخل فهي فرصة لك فانتهزيها... إن أبواب الخير الكثيرة مشرعة لأمثالك، فالبدار البدار.

وفي القرآن الكريم آيات عديدة تنظم الإنفاق. قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٥].

فيا أختي المؤمنة، تقربي إلى الله تعالى بالأعمال المستحبة أو الواجبة **وأجلّها بعد الإيمان بالله بر الوالدين:**

وقد قال جل شأنه: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٣] وليس من الإحسان أن ترتع البنت في الغنى وترفل في ثياب العز، وتدع والديها في الفقر المدقع والحاجة الملحة. وهما اللذان قاسا من المرارة لتربيتها، وحرموا أنفسهم لراحتها. حتى إذا كثر مالها أضحى لا هم لها إلا تجميع الثروة وتكديسها. وتنكرت حتى من أقرب المقربين.

ـ نالت (سمر) قسطاً وافراً من التعليم مما أهلها لمكانة مرموقة في المجتمع، وذاع صيتها.. فتزوجها رجل غني.. كثر مالها فتجاهلت الغريرة أمها التي ربتها وضحت من أجلها... لا لشيء، إذ لم يكن في تلك الأم الفاضلة

ما يعيبها إلا مظهرها الذي لا يتناسب مع مستوى البنت المادي.

هلا أحسنت إلى أمها وأصلحت من شأنها.. هلا اقتدت بالابنة البارة التي كانت تعطي والديها جزءاً دائماً من راتبها الشهري... فرفعت عنهم ذل الحاجة.

٢ ـ **والصالحة تبرأ قاربها وتصل رحمها**، لا سيما الفقراء منهم، توادهم وترحمهم ذلك أن (الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة)[١] وزوجها الصالح يعينها على صلة الرحم؛

وقد أعتقت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وليدة لها فقال لها عليه الصلاة والسلام: «**لو وصلت بعض أخوالك كان أعظم لأجرك**»[٢].

والمؤمنة الصالحة تصل من قطعها وتعطي من حرمها، ولا تعامل بالمثل...

فلا تكون الهدية مقابل الهدية ولا العطية مقابل العطية. ولا يقتصر العطاء مكافأة على الصنيعة. فالصلة الشرعية المقصودة هي البعد بالعطاء والتفضل به.

عن ابن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«**ليس الواصل بالمكافيء ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها**»[٣].

وإن كانت ذات زوج فتعين زوجها على صلة رحمه فذلك مما يزيد البركة ويكثر النعم.

---

(١) رواه أحمد والترمذي والنسائي، وقال الألباني: حديث صحيح /ينظر صحيح الجامع الصغير/٢/٧١٧

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الهبة باب بمن يبدأ الهدية/ رقم الحديث ٢٥٩٤

(٣) أخرجه البخاري وأحمد وأبو داود والترمذي / ينظر صحيح الجامع الصغير /٢/٩٤٩ .

ومن أولويات الإنفاق؛ الإنفاق على أبنائها الأيتام ورعاية مصالحهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أني أرى امرأة تبادرني فأقول لها ما لك؟ ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي**»[1].

وعن زينب امرأة عبد الله رضي الله عنهما قالت: كنت في المسجد فرأيت النبي ﷺ فقال: «**تصدقن ولو من حليكن**» وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها. فقالت لعبد الله: سلْ رسول الله ﷺ أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتامي في حجري من الصدقة؟

فقال: سلي أنت رسول الله ﷺ. قالت: فانطلقت إلى النبي ﷺ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي.

... وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال: «نعم، ولهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة»[2].

وفي الحديث دليل على جواز تبرع المرأة بمالها الخاص بغير إذن زوجها، وأياً كان ما تتبرع به تطوع أو واجب فالأقربون أولى بالمعروف.

ولا زالت أفاضل النسوة قديماً وحديثاً يساعدن أسرهن:

فالزوجة تعاون زوجها في الإنفاق ـ والبنت قد تكون هي المعيلة لأسرتها والكل يفعل ذلك بصدر رحب، وهذا من أفضل أنواع التكافل الاجتماعي.

ومن أوجه البر: **الإحسان إلى الجيران:**

---

(١) أخرجه أبو يعلى. وقال المنذري: الحديث إسناده حسن إن شاء الله، ينظر الترغيب والترهيب /٣/٣٤٩

(٢) الحديث أخرجه البخاري، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر، رقم الحديث / ١٤٦٦ .

ويحسن انتهاز فرصة الأعياد والمناسبات المختلفة لتوزيع الهدايا لهم، لأطفالهم فذلك يجلب المودة، فتنعم المرأة ومن حولها بحياة سعيدة هانئة.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

«ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم»[1].

وإن كثر الجيران، فالمسلمة تتأدب بأدب النبوة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إنّ لي جارين فإلى أيهما أهدي، قال عليه الصلاة والسلام: **«إلى أقربهما منك باباً»**[2].

كما وتساعد المسلمة لكفالة أبناء الشهداء: علّها تلبي نداءات اليتامى وذلك بمديد العون لهم وتفريج الكربة وإزالة الغمة.

ولا ننسى أن المنصرين استغلوا الأعمال الإنسانية لينفذوا منها إلى مآربهم، وساقوا من أطفال المسلمين إلى كنائسهم ليقعوا في شباك العدو، وأديرة المكر...

والطعم لهم في ذلك هو: ما يسد رمقهم ويستر جسمهم.

فالواجب اليقظة حتى لا يكون المال من الأسباب الدافعة للتقصير. فلتحاسب المرأة نفسها قبل أن تحاسب. ولتفكر في كآبة المساكين وبؤس البائسين. فنعم المال الصالح في يد المرأة الصالحة تنفقه في مثل هذه المشروعات الخيرة، وتوقف به جهود المنصرين والمخربين.

ومن أولويات الإنفاق: **أداء الأمانات والنذور والكفارات ونحوها مما** يجب الوفاء به ولا يصح البخل فيه.

﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ

---

(١) رواه الطبراني والبزار وإسناده حسن ينظر السلسلة الصحيحة /رقم ١٤٩

(٢) أخرجه البخاري، باب بمن يبدأ الهدية رقم الحديث / ٢٥٩٥

﴿الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: الآيات ٧٥-٧٧] .

وهذه واجبات شرعية لا بد من أدائها، وفيها ما يسد حاجات اجتماعية لم يغفلها الشرع.

والأضاحي ونحوها من أعمال البر، تتقرب بها المسلمة ولا تألو جهداً في عمل الخير والبذل السخي لتحصيله أياً كان ذلك أضحية أو حجاً أو عمرة أو صدقة... فذلك مجال للأجر الجزيل:

عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها: «**يا فاطمة، قومي فاشهدي أضحيتك، فإن لك بأول قطرة من دمها مغفرة لكل ذنب. أما إنه يجاء بلحمها ودمها توضع في ميزانك سبعين ضعفاً. قال أبو سعيد: يا رسول الله هذا لآل محمد خاصة، فإنهم أهل لما خصوا به من الخير، أو للمسلمين عامة؟! قال عليه الصلاة والسلام: «لآل محمد خاصة وللمسلمين عامة»**[1].

هذا وكانت المساجد ولا تزال منارة علم للمجتمع بأسره. إنها أشبه بمدارس تهذيبية تشع على المجتمع خيراً وفضلاً.

وقد رغب الشرع في بناء المساجد، فتشييدها من أفضل القربات.

و«من بنى لله مسجداً بنى الله له مثله في الجنة»[2].

فلا تحرمي نفسك أختي المؤمنة، من الثواب. بادري إلى المساهمة بتعمير مساجد الله.

---

(١) قال المنذري وقد حسن بعض مشايخنا حديث علي هذا والله أعلم، ينظر الترغيب والترهيب /١٥٥/٢ .

(٢) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة، انظر صحيح الترغيب والترهيب رقم ٢٦٤ ـ ٢٦٧ .

كما وأن هناك مساجد تحتاج إلى ترميم تنتظر سخاء النفوس المؤمنة الكريمة وعطائها، علها تقي المصلين من زخات المطر التي تداهمهم في الشتاء فتحرمهم لذة الخشوع.

ومساجد تنتظر المساهمة في فرشها أو توسعتها لتستوعب المصلين والذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

ولم يعدم الناس قديماً وحديثاً من نسوة تقيات كريمات أبدين اهتماماً صادقاً بهذا الجانب، فكان لهن أوقافاً دارة ليكون ريعها موارد دائمة للعناية ببيوت الله.

٣ ـ نحو ترشيد الإنفاق والصحوة النسائية

تحت عنوان: نداء للمستثمرين الغيورين على الإسلام، نشرت مجلة المجتمع ما كتبه (المفضل بنجلي عيسى) من فرنسا كتب يقول:

«إن عدد المسلمين بفرنسا يزيد على ١٠ ملايين مسلم، لكن ينقصنا التأطير رغم أن ديننا يحتل الرتبة الثانية بفرنسا... ثم يقول:

بعد تخرجي من المدرسة الفلاحية الفرنسية وخبرة سنتين مع مجموعة دافون الدولية بالمغرب، قمت بدراسة لمشروع سميته: **(اللحم الحلال على الطريقة الإسلامية)** وذلك نظراً لانعدام أو ندرة اللحم الحلال، والطلبات المتزايدة من طرق الجالية المسلمة بفرنسا خاصة وأوروبا عامة لهذا المنتج.

والغريب في الأمر أن أول شخص اتصل بي من أجل هذا الموضوع: يهودي يدير أكبر مجموعة لإنتاج اللحوم بفرنسا وتسيطر على السوق المحلي والأوروبي»[١].

فأين المستثمرون العرب والمسلمون؟!

أين أموال نسائنا المسلمات وحليهن؟ أم أنه ذهب به ترفهن الذي لا حدود له؟ أم حسبن أن الإسلام صلاة وصيام فقط؟!

لقد قال سبحانه وتعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ

---

(١) مجلة المجتمع: العدد ١٣٧٣ /عام ١٩٩٩ م.

﴿ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٧] .

قال ابن تيمية رحمه الله: (هذه الآية عظيمة جليلة القدر، من أعظم آي القرآن وأجمعه لأمر الدين. وقد روي أن النبي ﷺ سئل عن خصال الإيمان، فنزلت. وفي الترمذي عن فاطمة بنت قيس عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: إن في المال حقاً سوى الزكاة. وقد دلت الآية على أمور:

أحدها: أنه أخبر أن الفاعلين لهذه الأمور هم المتقون. وعامة هذه الأمور فعل مأمور به.

الثاني: أنه أخبر أن هذه الأمور هي البر. وأهلها هم الصادقون يعني في قولهم: آمنا... وهذه الخصال المذكورة في الآية قد دلت على وجوبها لأن الله تعالى أخبر أن أهلها هم الذين صدقوا في قولهم وهم المتقون والصدق واجب والإيمان واجب)[1].

وأممنا التي تسمى (النامية) تشكو من الفقر والبطالة لانعدام فرص العمل، فضلاً عن شكواها من الديون المتراكمة. فهي ـ وللأسف ـ تعيش متواكلة على غيرها إلى حد كبير، بل وتمد الأيدي طالبة العون والمساعدة ممن يستغل حاجتها ولا يرحمها!

أليس بإمكان المرأة الرشيدة، المرأة الواعية، المرأة التي تشعر بمسؤوليتها وواجبها في نهضة أمتها، أن تكون خير معوان للرجال المسلمين وذلك بنضجها وسعة أفقها؟!

إنها وبحسن تدبيرها، وتعاونها مع محارمها، توفر ما تعمل به المشاريع التي تقي المجتمع مغبة البطالة، وما تجره من أمراض اجتماعية عفنة. ولا تهدر المال بالترف الفارغ وشراء ما ينفع وما لا ينفع، كما أنها لا تهدره بالشح به

---

(١) الفتاوى /٢/١٣٣ .

وتكديسه وعدم استغلاله.

إن سوء التصرف بالمال يذهب حقها وحق غيرها وقد قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذاريات: الآية ١٩].

أختاه! أنت التي ترفلين بنعم الله، يحب سبحانه وتعالى أن يرى أثرها عليك، إنك وأنت التواقة إلى الخير سبل الخير أمامك مشرعة. فهيا ساهمي في مشروعات إنتاجية للفقراء. تتجلى في أعمال تدر دخلاً مهما كان بسيطاً لعله يسد رمق أسر متعففة ويكفل لهم حياة محترمة. فإن في فتح المشاريع الإسلامية صيانة لماء وجه المسلم من أن يراق على عتبات أبواب العلمانيين أو الاستغلاليين الذين ينعمون بشقاء المحتاجين.

فتعمل الموسرة على إيجاد فرص العمل المناسبة، بالاستثمار السليم للمال، وفي ذلك حفظ لأعراض أخواتها المسلمات أيضاً.

(في بنغلاديش المسلمة تسافر الفتيات الفقيرة للعمل وإعالة عائلاتهن الفقيرة. وهناك يتم بيعهن للدعارة أو الاسترقاق)[1].

ماذا لو سألك الله عن تقصيرك بحق أخواتك المسلمات؟!

فإن كنت ذات مال ويسار، فساهمي في تمويل المشاريع الإسلامية، وطبت وطاب مسعاك. وإن كنت ذات رأي ونصح فساهمي، فالدال على الخير كفاعله.

وإن أثمرت الجهود المتضافرة **لعمل جامعات لتدريس شباب وشابات** الإسلام لإعدادهم لمواجهة الحياة بدل التسكع في الملاهي والمقاهي وغيرها، فبها ونعمت. وإن ساهمت بجهدك أو مالك لفتح المدارس الإسلامية التي تكون على غرار أوقاف الصالحات على مر العصور، فهو عمل نرجو أن يبقى ثوابه

---

(١) الجديدة: العدد /٦٧٧

لما بعد الموت. وتصان به عزة المسلمات.

علّك تكونين نبراساً يحتذى لكثير من مدارس هذا الزمان والتي أضحت وللأسف الشديد أشبه بمتاجر همها تنميته المال فحسب، وغاية ما يتواضع إليه القائمون عليها هو تعيين المتدينات للاستفادة من خبراتهن، وبراتب قد لا يزيد عن راتب عاملة في المطبخ!

إنه لشرف وأي شرف أن يكون للمرأة جهود تخدم أجيالاً متعددة من أمة الإسلام، فتساهم في إعداد الأجيال المؤمنة فكراً وسلوكاً في شتى الميادين. وهذه هي المشاركة المحمودة وليست في مزاحمة الرجال في مكاتب العمل أو الأسواق.

الأمم الواعية تعمل على ما يسمونه ترشيد الاستهلاك وعدم الهدر المالي.

ولا تظن النسوة أن المسؤولية هي مسؤولية الرجال الأغنياء وحدهم. بل تشارك المسلمة في المسؤولية فهي حريصة على رضا الله تعالى حرص الرجل على ذلك. وقلبها الرقيق يحثها على الصدقات ورفعة شأن أمتها. ثم إنها والرجل هو المسؤول في الإنفاق عليها، فلماذا تكدس المال، وما فائدته إن لم يستعمل في مجالاته المناسبة؟!

هذا وفي الآونة الأخيرة تبرع أحد أصحاب رؤوس الأموال من اليهود الأمريكيين بمبلغ يعادل (٢٠٠ مليون دولار) من أجل شراء منازل فلسطينية في مدينتي القدس والخليل، بهدف توطين عائلات يهودية فيها وبالتالي مضاعفة عدد اليهود الذين يقيمون في هاتين المدينتين.

يحدث هذا في الوقت الذي يئن فيه المقدسيون الذين هدمت منازلهم ولم يجدوا مأوىً لهم ولا يداً تمتد بالمساعدة، ومع ذلك أصروا على البقاء في العراء حفاظاً على هوية القدس الشريف! هذا ما تناقلته الأنباء العالمية.

نقول بدورنا للمرفهة والباحثة عن ألوان الترف: رويدك، فهل حققت

أمتك الاكتفاء الذاتي من المأكل والملبس؟ وهل صنعت السلاح الذي تذود عن الأموال والأنفس والأعراض؟ وهل... وهل..؟

حتى نبحث عن أصناف الكماليات ووسائل الرفاه ونتفنن بها؟!

إن المرأة العاقلة تستطيع بحسن تدبيرها واقتصادها في أمرها، أن تكتفي قانعة بأي دخل وأن تحسن استغلال المال بما يفيد. ولا ترهق أسرتها بمصروفات حمقاء.

وقد تركنا رسول الله ﷺ على صراط سوي وترك لنا أسوة حسنة في النفقة وغيرها.

ففي حديث للرسول ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه: جاء رجل إليه عليه الصلاة والسلام وكان مما سأله: يا رسول الله نبئني عن مالي كيف أتصدق به؟

قال عليه الصلاة والسلام: «**نعم والله لتنبأن. تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا كان نفسك ها هنا ـ وأشار (شريك) إلى حلقة قلت مالي لفلان ولفلان وهولهم وإن كرهت**»[1].

ولن ينكر أدوار المرأة في العمل الخيري إلا جاحد. ولا يغفل عن دورها المساهم في الإنتاج إلا مكابر.

فيا أختاه، إننا بانتظارك، أنت الشفوقة فاقدمي، وأنت السخية فلا تبخلي، وأمامك فرص من أعمال الخير فانتهزيها.

إننا بانتظار مساهماتك الواعية لبناء حضارة أمتنا، علك بذلك تمحين

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في الأدب ومسلم في البر والصلة، ينظر شرح السنة جـ ١٣ ص ٤.

وصمة التخلف التي تسببت بها التافهات.

فخذي مكانك الذي يريده لك الشرع لتري بنفسك عزة الإسلام. ولتقف شعوبنا التائهة على أرض صلبة، تسبح بحمد ربها، وتدعو لدينه، وتضرع إليه تعالى: «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا».

٤ ـ صور من أعمال البر

تحت اسم «تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للبشرية، عملت المؤتمرات العالمية المختلفة، من المؤتمر العالمي الرابع للمرأة في بكين عام ١٩٩٥م إلى المؤتمر الذي دعي بمؤتمر السكان والتنمية في القاهرة عام ١٩٩٤م إلى مؤتمر الإيواء البشري في استانبول عام ١٩٩٦م... شعارها الظاهر رفع مستوى المعيشة والقضاء على الفقر... واستغلت الشعارات لنشر الإباحية والإفساد وللحد من النمو السكاني!

وموجز تلك الدعوات الهدامة: أن التضخم السكاني يتسارع إذ يزيد عدد السكان وهذا ما يستلزم المجاعة. لذا لا بد من تحديد النسل، ومنع الحمل وتيسير سبل الإجهاض وغير ذلك منعاً لزيادة العدد السكاني!

وفاتهم أن الله خالق الكون قد تكفل برزق عباده قال تعالى عن الأرض ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] .

وما جاع الفقراء إلا بما بطر به الأغنياء... فالجشع الاقتصادي، والتفاوت الطبقي هو الذي يسبب الأزمات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة**»(١).

إن على ذوي السعة واليسار واجب رئيسي ألا وهو مساعدة المحتاجين وتقديم العون للمعوزين الذين لا يملكون الحد الأدنى من الكفاية. وما يتبع ذلك الفقر المدقع من انتشار الأمراض لانعدام الوعي الصحي والثقافي.

---

(١) متفق عليه /صحيح الجامع الصغير /٢/٧٢٦ .

ولا يغني أن نتباكى بعد ذلك على عزة الإسلام وأهله!

و﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٩٢] .

وإذا نزلت الكوارث فلا تنتظري أختي المسلمة، يا ذات القلب الرقيق، لا تنتظري من يذكرك فالخطب الجلل يتحدث عن نفسه ويستصرخ الهمم، فالبدار البدار.

إن مساهمتك في إزالة كرب المكروبين ومساعدة المنكوبين، والتوسيع على المعسرين... مما يعبر عن عاطفة أخوية ورابطة حميمة بين جميع المسلمين.

وأثر الكوارث الاجتماعية من فقدان التراحم وشيوع الأثرة والأنانية قد يؤثر في النفوس أكثر من الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين. إذ يفسد المودة ويقطع الأواصر، فلا تدعي كوارث القسوة تلسع بسياطها أخواتك المؤمنات.

إن كفالة المرأة المادية لأسرة مات معيلها لهي خير ما يمكن أن تقدمه لمساعدة أخواتها في محنتهن، فتخفف بذلك آهات الثكالى وآلام الأيتام وأعباء الأرامل المحتاجات. وتأخذ بيدهن بدل أن يتعرضن للقهر والإذلال، بل وتغيير قلوبهن وعقولهن عن طريق كسرة الخبز. وما محنة اللاجئين في العالم الإسلامي إلا امتحان لقلب المرأة الرحيم ليساهم في تخفيفها.

فهؤلاء الذين هاموا على وجوههم في الأرض، وتركوا ديارهم. أوليس أقل الواجبات على المسلمة أن تخفف من مصيبتهم... أين المسلمة ذات الثراء؟! هلا شملهم عطفها الحنون، فأنشأت دوراً لرعاية أبنائهم ومساعدتهم في النشأة الصالحة وبذا تعين في كشف غمة المسلمين وإزالة محنتهم.

وأما المسنون والمسنات فيمكن إنشاء دور لرعايتهم وبذلك تعين الشيخوخة البائسة وتخفف عنها من أوضار السنين... أو أن تساهم المسلمة مع مثيلاتها بهذه المشروعات الخيرية.

وقد عرفت المسلمة بكرمها وطيب معدنها، يهمها أمر مجتمعها وتبذل ما

في وسعها للتوسيع على بني دينها:

عن أنس رضي الله عنه أن أم سليم (أمه) عمدت إلى مدٍ من شعير وجشّته وجعلت منه خطيفة وعصرت عكة عندها. ثم بعثتني إلى النبي ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فدعوته فقال عليه الصلاة والسلام: «ومن معي». فجئت فقلت: إنه يقول: ومن معي.

فخرج إليه أبو طلحة (زوج أم سليم رضي الله عنهم) قال: يا رسول الله، إنما هو شيء صنعته أم سليم.

فدخل فجيء به وقال: أدخل علي عشرة فأدخلوا فأكلوا حتى شبعوا ثم قال: أدخل علي عشرة فدخلوا حتى شبعوا ثم قال: أدخل علي عشرة حتى عد أربعين ثم أكل النبي ﷺ ثم قام. فجعلت أنظر هل نقص منها شيء؟!»[1].

إن جيوش المتعطلين عن العمل تسائل ذوي اليسار عن تقصيرهم. تسائل المرأة عن الإفلاس الذي تدعمه من حيث لا تدري، وذلك بتهورها وتبديدها للثروات.

تسأل عن الشقاء الذي سببه ترفها واستهلاكها لكل ما هو غير ضروري. تسأل عن سعيها الدؤوب للمتع الزائلة وانتهاب ما تعتقد أنه يجلب لها البهجة في هذه الدار الفانية.

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] .

فالواجب توجيه الأموال **للتطوير الاجتماعي والاقتصادي ولرفع مستوى**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة /رقم الحديث: ٥٤٥٠ .
والجش: جعلته جشيشاً، والجشيش، دقيق غير ناعم.
خطيفة: وزن عصيدة، وقيل: أصله أن يؤخذ لبن ويذر عليه دقيق، ويطبخ ويلعقها الناس يتخطفونها بالأصابع والملاعق فسميت بذلك) فتح الباري /٨٧/٩

المعيشة بشكل محترم معتدل. فقد يفتح بمال المرأة متجر لينتفع به الناس، وأساس التعامل فيه إسلامي، يكون قدوة في السماحة والتعالي على الربح المادي والكسب الفاني.

قد تفتح أو تساهم بفتح مستوصف يعالج المرضى بأجرة رمزية، وتلك دعوة إلى الله بأسلوب عملي يفوق أثره مئات الخطب والمحاضرات.

وقد تساهم في مشروع صناعي... والمجالات أمامها كثيرة.. من مصانع أو مشاغل... وكل ما يسهل سبل الرزق ورفاه العيش من المباحات.. وفي كل ذلك تتيح فرصاً للعمل، وتعين أمتها على أن تزيد قوة ومهابة بإحرازها القوة الاقتصادية.

ولا يخفى أن مواجهتنا مع أعدائنا ليست بالحرب وحدها. ولم يعد السلاح هو الحاكم الفصل فيها.. إن مواجهتنا اقتصادية كما هي عسكرية..

ومن أعمال البر: **مجالات الدعوة إلى الله**. فلا يسبقنا أعداؤنا للبذل في سبيل مبادئهم. فالتهاون في الإنفاق تهلكة قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٥].

فتقدم المسلمة من مالها لدعوتها، لنصرة دينها ودفع كيد الأعداء. فتساهم في تجهيز الغزاة المقاتلين لإعلاء كلمة الله ـ و«ومن جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا»[1].

وما قيمة المال إذا كانت العقيدة في خطر؟! وديار المسلمين في خطر؟! كما وتعمل على نشر الثقافة الدينية بشتى الصور. وكذلك الثقافة العلمية النظيفة. وقد يكون ذلك في **تسبيل المدارس**، أو جعل أقساط رمزية لها، لحماية أطفالنا

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، ينظر الترغيب والترهيب جـ ٢/٢٥٤.

الفقراء من أحد خطرين: إما الأمية وإما التنصير... إذ جعل المنصرون العلم شبكة من شباكهم، ويغرون المتنصر من أبناء المسلمين بشتى المغريات. وجعلوا التعليم وما يتبعه من وظائف حكراً على من يغير ديانته.. وذلك في كثير من دول أفريقيا!

وقد حفظ تاريخنا المشرق كثيراً من أوقاف الصالحات سبلت للمدارس وطلبة العلم.

ثم إنها لا تترك الأجيال للإعلام المضلل فتساهم في طبع الكتب المفيدة، وما أذكره أن كتاب سنن أبي داود كان يباع ملازماً متلاحقة لعدم وجود الإمكانية لطبعه كاملاً، وبمساهمة النسوة الصالحات انتشر الكتاب بأجزائه.

ومن ذلك إنشاء مكتبات عامة لمطالعة النسوة والمساهمة في تثقيفهن. الثقافة الشرعية اللازمة وقضايا الثقافة الضرورية. فضلاً عن إنشاء المجلات النسائية الهادفة والموزونة.

هذا، وكلما نشطت عوامل الفتنة وجب علينا أن نضاعف جهودنا لدفنها في موضعها.. فتسعى المسلمة لتزويج أخواتها المحتاجات وذلك لتحصينهم وإعفافهن. وليصبح لكل راغب في العفه زوجة صالحة ولكل ساعية للحصانة زوج صالح. فتساهم بعطائها الفياض لبناء الأسر المسلمة التي ستكون لبنات المجتمع المنشود. أسر متماسكة مستقرة أعضاؤها من صالحي الأمة. وصالحاتها...

إن الإنفاق لا يخص المرأة وحدها... بل ينعكس على مجتمعها وأمتها سلباً وإيجاباً. فقد يعوق الإنفاق المتهور نمو المجتمع وتحضره... والواقع المحزن يحكي الكثير... لكن!

أما وقد أصبحت العادات كالسيل الجارف... لها طغيانها القاتل. فعلى المرأة العاقلة أن تقف كالطود في وجهها؟! نحن بحاجة إلى داعية توازن بين

الإنفاق والحرمان أكثر ممن يحملن على تغير الزمن وسطوة عاداته.

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب ولو نطق الزمان كذا هجانا[1]

* * *

* * * * *

*

(١) الشعر مما ينسب للإمام الشافعي رحمه الله.

٥ ـ واجبات الرجل نحو أهله

كثير من الأزواج يشتكون مر الشكوى من إسراف زوجاتهم، وتحميل الرجل شراء أشياء لا حاجة إليها، لا يبالين في ذلك حتى ولو غرق في بحر من الديون. وقد تكون تلك الأشياء كمالية، ولا يعملنها إلا تقليداً للآخريات! وكثير من الآباء يجأرون من نفس الشكوى:

الإنفاق، الإسراف، المظاهر... التقليد الأعمى!

وتتعالى صيحات متكررة ضد هذه التفاهات التي تبعثر المال وتعبث في إنفاقه. بل إننا إذا وجدنا أسرة تعاني من ضائقة اقتصادية... فالمتبادر دائماً: أن المرأة متهمة غالباً بأنها ممن ساهم في الفقر. وتكثر الأقوال حولها ويتهامس الجميع بمقولة لا تخرج عن: «المرأة هي السبب»؟.

إن قوامة الرجل في بيته تقتضي أن يدير أموره، لا أن يسير حسب أهواء النساء بنات كن أو أخوات أو زوجات.

إنه يصحح المسار ويدعو إلى الأفضل، فهو راع ومسؤول عن رعيته. وفي قصة ميمونة رضي الله عنها وقد اعتقت وليدة لها[1]... فإنه عليه الصلاة والسلام خير مربٍ، لم يشأ أن تمر الحادثة مع إمكانية توجيهها للأفضل. بل بين عليه الصلاة والسلام لزوجته ميمونة رضي الله عنها أن لو منحت الجارية خادمة لأخوالها زادها الله ثواباً جليلاً بسبب صلة رحمها.

هذا وقد مر بنا[2] موقف الرسول ﷺ من ابنته فاطمة رضوان الله عليها عندما طلبت منه رقيقاً يخدمها... لقد دعاها عليه الصلاة والسلام نحو التوجه إلى الله تعالى في التسبيح والتكبير فترتاح النفوس وتطمئن القلوب.

---

(١) ينظر ص ٩٣ (٢) ينظر ص ١٦

فالرجل المسلم المسؤول عن رعيته، يملك بزمام الأمر ولا يدعه يفلت من يده. إنه يضع لأسرته معايير تتناسب مع الشرع ليلتزم الجميع بها:

لقد كان عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله امرأة لو شاءت أن تجتمع لديها الدنيا لاجتمعت، حفيدة خليفة وبنت خليفة وأخت خلفاء وهي فاطمة عبد الملك فمال إليها يقلم أظفارها منذ أول الأمر لئلا تقلق جنبه، فأخذ جوهرها وحليها فيما أخذ فأودعه بيت المال.. حتى إذا احتاج المسلمون أنفقه عليهم... وما زال عمر بزوجته حتى طبعها بالورع فصارت مثلاً كريماً للنساء. وكانت كلما عاودها الحنين إلى حياة الترف تجد منه ميلاً عنها وإدباراً، فتعود إلى طمأنينتها وورعها حين يقول لها: اتعظي إن شئت أو ذري.

وكما فعل عمر بفاطمة فعل بأولاده من رجال ونسوة:

أرسلت إليه ابنته بلؤلؤة وقالت له: إن رأيت أن تبعث لي بأخت لها حتى أجعلها في أذني. فأرسل لها بجمرتين ثم قال لها: «**إن استطعت أن تجعلي هاتين الجمرتين في أذنيك بعثت إليك بأخت لها!**»[1] وليس غريباً أن تواترت الأخبار بعد ذلك: لقد فاض المال في عهد عمر بن عبد العزيز حتى لم يجد من يأخذه ـ رحمه الله ـ.

ولم لا وقد سار عمر على سيرة جده الأعلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ دخل عمر بن الخطاب على ابنه عبد الله فرأى عنده لحماً. فقال: ما هذا اللحم؟ قال: اشتهيته. فقال عمر: أو كلما اشتهيت شيئاً أكلته؟ كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهاه!

ليت من شغلهن الطبخ واستقطب جل اهتمامهن وأودى بأوقاتهن يرزقن بمن يسمعهن مثل قول ابن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) عمر بن عبد العزيز /تأليف عبد العزيز سيد الأهل / ص ١٠١ ـ ١٠٢ /نشر دار العلم للملايين.

هكذا كان أجدادنا... ولن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها. (وكم هو غريب أن نرى بعض الرجال يسكتون وهم يرون جهدهم وعرقهم تحول إلى ثياب مكدسة لا تحتاجها الأسرة. وإلى مستحضرات تجميل فائضة ومتنوعة بلا داعٍ بدلاً من شراء ما هو ضروري للأسرة... مما يعم الفساد ويحطم الأسرة ويعود عليها بالفقر والخراب ويؤدي إلى الخسائر الاقتصادية للدولة عموماً وذلك عند تجاوز الحد في التبذير بشراء ما لا يلزم»[1].

ومن يسلم ماله لزوجة مبذرة فهو متلف لماله... مسؤول عن إتلافه أمام الله. وبعد ذلك فلا يقولنّ وهو يلقي اللوم على زوجته: «أنت السبب» يقولها عندما يرى نفسه صفر اليدين: أنت لا غيرك أوصلتني إلى سيء الأحوال، أوصلتني إلى مهاوي الهلكة.

ونقول لذي النفس اللوامة:

حتام التقاعس عن الحق، وقد أدركنا مغبة الانغماس في الباطل؟!

هيا لإصلاح الخطأ، والنهوض بأفراد الأسرة، والعمل لإيقاف الهوس الاستهلاكي، والمبالغة في شراء ما يجول بخاطر المرأة وخاطر غيرها.

إن تصرف الرجل الحازم يوقف كلاً عند حده.

عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها النبي ﷺ قام على الباب، فلم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهية. فقالت: يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسول الله. فماذا أذنبت؟ فقال رسول الله ﷺ: **«فما بال هذه النمرقة؟»** قالت: اشتريتها لك تقعد عليها وتوسّدها. فقال: **«إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة فيقال لهم أحيوا ما خلقتم»**. ثم قال: **«إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»**[2].

---

(١) الموضة في التصور الإسلامي ص ٨٢ .

(٢) حديث متفق على صحته /الموطأ في الاستئذان / والبخاري في اللباس ومسلم في اللباس ينظر شرح السنة، ٩/ص ١٤٧ .

فالبيوت إنما وجدت للراحة وبالحدود المشروعة. لا لتزويقها وتزيينها ولو بالمصور المحرمة. والرجل المسلم هو صاحب القوامة ويقوم ما اعوج في أسرته.

وها هو رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، رغم جوده المعروف وسخاء نفسه لكنه بنفس الوقت لم يغض الطرف ويتجاوب مع أم المؤمنين رضي الله عنها فقال لها: «**إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين**»[1].

فلا يضير الرجل ولا يخدش كرمه أن لا يلبي يوماً طلبات المرأة المادية ورب كلمة «لا» يقولها الزوج العاقل، فتحمي مملكته من الانهيار ويصون دينه عن أن يخدشه التفريط أو الإفراط.

فالمسؤولية على الجميع يشترك فيها الرجل والمرأة. الرجل بحكم القوامة ورئاسة الأسرة والمرأة لأنها أمينة على أسرتها ومسؤولة عن رعيتها.

فالرجل المسؤول لن تغلبه النساء: عن سالم قال: أعرست فدعا أبي الناس وفيهم أبو أيوب وقد ستروا بيتي بجنادي أخضر. فجاء أبو أيوب فطأطأ رأسه فنظر فإذا البيت مستتر. فقال: يا عبد الله تسترون الجدر؟! فقال أبي واستحى: **غلبنا النساء يا أبا أيوب**. فقال: من خشيت أن تغلبه النساء، فلم أخش أن يغلبنك. لا أدخل لكم بيتاً ولا آكل لكم طعاماً»[2].

هذه المسؤولية يستشعرها المسلم طوال حياته وقبيل مماته:

عن الحسن رضي الله عنه: أن عمران بن حصين أوصى لأمهات أولاده بوصايا وقال: من صرخت علي فلا وصية لها»[3].

---

(١) مر سابقاً، وهو حديث أخرجه مسلم في صحيحه رقم /٢١٠٧، وأحمد.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤٠٨/٢ .
(٣) المصدر السابق، ٥١١/٢.

لقد كانت رعاية السلف لأسرهم رعاية سامقة:

عن هشام بن عروة بن الزبير قال: كان أبي إذا دخل على من يرى عنده شيئاً من زينة الدنيا أسرع الرجوع إلى أهله وقام بالباب فنادى: ولا تمدن عينيك إلى آخر الآية، ثم ينادي: الصلاة الصلاة... فيقومون فيصلون أجمعون، وأراد اتباع قوله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾[1] [طه: الآية ١٣٢] .

(١) شرح السنة، ١٤/ ٢٣٤.

الفصل الرابع

صور مشرقة لإحسان المحسنات

١ . نظرة خير نساء العالمين إلى المال

٢ . الإيثار من أبرز سمات المؤمنات

٣ . نماذج رائعة لبذل المرأة المسلمة في تاريخنا الزاهر

٤ . السعادة الحقيقية

٥ . أهي دعوة للتقشف ؟

١ ـ نظرة خير نساء العالمين إلى المال

المال مال الله، وينفق كما يحب سبحانه وتعالى. إنه وسيلة لدفع الحاجة وللتأهب لما بعد الموت، وما عند الله خير وأبقى.

تلك باختصار نظرة خير نساء العالمين. وهن كما جاء عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خير نساء العالمين: مريم وآسية وخديجة بنت خويلد وفاطمة**» أخرجه ابن حبان.

لقد كان فرعون أعظم ملوك الدنيا في عصره، وأكثرهم مالاً وأشدهم سطوة حتى صار اسمه مثلاً للبطر والغنى والطغيان...

فماذا كان موقف امرأته **آسيا بنت مزاحم** وقد هداها الله إلى الإيمان؟! لقد استهانت بكل ما عنده من ثروة وما لديه من زخارف الدنيا وزينتها والتجأت إلى الله وحده متطلعة لما عنده جلّ وعلا وهي تقول: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: الآية ١١] .

لقد تعالت على السلطان والمال والثروة في سبيل إيمانها بالله.

ومريم بنت عمران: كانت مثالاً للعبادة والتبتل والطهر، وتقديراً لنعم الله.

كانت من أسرة تسارع إلى الخيرات قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٠] والآية الكريمة نزلت في زكريا وأهله وقد قال تعالى أيضاً، مبيناً اعترافها بأن الله مصدر النعم وهو وحده صاحب الفضل فيها: «**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً. قال: يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزقه**

من يشاء بغير حساب»[1].

وأم المؤمنين **خديجة بنت خويلد**: كان في سيرتها العطرة نبراساً في البذل والعطاء، وسياطاً تلذع الشح والشحيحات...

ـ قدمت حليمة السعدية (وهي أم الرسول ﷺ من الرضاعة) بعد زواجه وهي تشكو الجدب والقحط، فكلم رسول الله خديجة فيها فأعطتها أربعين شاة وبعيراً وانصرفت إلى أهلها.

ـ ثم إنه أصاب قريشاً أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه وكان من أيسر بني هاشم: «**يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق حتى تخفف من عياله**». فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه. فلم يزل علي مع رسول الله حتى بعثه الله نبياً فاتبعه وآمن به وصدقه[1].

لقد رضيت أن يعيش ابن عمه الصغير في بيتها يقاسمهم المؤونة بطيب نفس وكرم أخلاق.

ـ كما وكانت رضي الله عنها تصنع الطعام استجابة لأمر الرسول ﷺ كي يدعو بني عبد المطلب ليعرض عليهم الإسلام تعمل ذلك بسخاء نفس وتعين للدعوة إلى الله[2] كانت أم المؤمنين مثالاً رائعاً للمرأة داخل أسرتها. تحملاً وبذلاً ومعونة.

وفاطمة بضعة المصطفى ﷺ: كان مهرها أيسر مهر وأكثره بركة وبيتها أبعد بيت عن البهارج. لقد كان جهازها كما ذكر علي رضي الله عنه قال: «جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميلة وقربة ووسادة أدم حشوها إذخر»[3].

---

(١) البداية والنهاية، جـ٣/ ٢٥.

(٢) الطبقات الكبرى، ١/ ١٨٧.

(٣) أخرجه أحمد والنسائي وإسناده صحيح، ينظر شرح السنة، ١٤/ ٢٥١.

وفوق هذا وذاك كانت رضي الله عنها تعيش في جهد وكدح... ويذهب المشقة ذكر الله تعالى كما علمها والدها رسولنا محمد ﷺ.

فما أجدر فتياتنا في هذه الفترة التي أثخنت أمتنا الإسلامية الجراح وتوالت عليها النكبات... ما أجدرهن أن يتعلمن من جدية السيدة فاطمة رضي الله عنها ومن دأبها وتحملها الكدح راضية مرضية.

إن جراح الأمة المسلمة اليوم لن يواسيها **ترف المترفات ولا تخمة الكسولات**، ولا تقليد عارضات الأزياء والممثلات.

إننا بحاجة إلى سيدات يبعن أنفسهن لله، بعيداً عن الترهل والدعة والخمول، وبمساندة أمثالهن تنصر الدعوات)[1].

هذه نظرة خير نساء العالمين للمال...

فهل نظرت نسوة اليوم بمنظارهن؟

ما أجمل أن تقتدي امرأة اليوم بهذه النماذج الرفيعة. بدل الهرولة خلف كل ناعق نحو مغريات الدنيا ومفاتنها.

---

(١) أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، الداعية الواعية، ص٤٦.

٢ ـ الإيثار من أبرز سمات المؤمنات

الإيثار: ضد الشح.

فإن المؤثر على نفسه تارك لما هو محتاج إليه، والشحيح حريص على ما ليس بيده. فإذا حصل بيده شيء شح عليه وبخل بإخراجه. فالبخل ثمرة الشح، والشح يأمر بالبخل...

وعكس الإيثار: الأثرة وهي استئثاره عن أخيه بما هو محتاج إليه.

وهي المرتبة التي قال فيها رسول الله ﷺ للأنصار: «**إنكم ستلقون من بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**».

والأنصار هم الذين وصفهم الله بالإيثار بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] [الحشر: الآية ٩].

وتاريخ سلفنا الصالح زاخر بالإيثار، جدير بالتأسي والاعتبار.

كانت أمنا عائشة رضي الله عنها قدوة للمسلمات في محافظتها على نعم الله، وبنفس الوقت حبها للخير وإحسانها للفقراء وإيثارهم على نفسها.

لقد تصدقت يوماً بسبعين ألفاً، وإنها لترقع جانب درعها رضي الله عنها[2]، إن الإيثار ليدفعها للتصدق السخي حتى تنسى نفسها وهي صائمة:

عن أم درة خادمة عائشة رضي الله عنها قالت: أتيت عائشة بمائة ألف ففرقتها وهي يومئذٍ صائمة، فقلت: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه؟!

---

(١) تهذيب مدارج السالكين، ٤٠٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٢/١٨٧.

فقالت: لو كنت ذكرتني لفعلت»![1]

هكذا كان استصغار الدنيا والزهد بها، وإيثار الفقراء على نفسها، عند أم المؤمنين رضي الله عنها. لقد أنساها كرمها وحبها للبذل أن تؤخر درهماً تشتري به ما تفطر عليه، فالسخاء والكرم والبذل في سبيل الله من مظاهر الإسلام التي تمثلتها المسلمات عموماً، وأمهات المؤمنين على الخصوص.

فأم المؤمنين ـ زينب بنت جحش رضي الله عنها ـ أرسل لها عمر رضي الله عنه بالعطاء الذي لها فلما أدخل عليها قالت: غفر الله لعمر، **غيري من أخواني كان أقوى على قسم هذا مني!** قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله!

واستترت منه بثوب وقالت: ضعوه واطرحوا عليه ثوباً ثم قالت لي (لبرة بنت رافع) أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان[2] رضي الله عنها مفزع اليتامى والمساكين. لقد دفعها إيمانها لأن تحس بتبعة المال، وأنه عبء تريد الانتهاء من وضعه المناسب.

ورضي الله عن أمهات المؤمنين قدوتنا في الكرم والعطاء[3].

لقد كن نبراساً يحتذى به على مر الأجيال، وساهمن ببناء حضارة لا زلنا نتفيأ ظلالها حتى عصرنا هذا:

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: قال: ما رأيت امرأة قط أجود من عائشة وأسماء. وجودهما مختلف: أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه.

وأما أسماء فكانت لا تدخر شيئاً لغد»[4].

---

(١) الإصابة، ٤/ ٣٥٠.

(٢) حياة الصحابة، ٢/ ٢٢٥، لمحمد يوسف الكاندهلوي.

(٣) أدب الصحبة، ١٤٧.

(٤) رجاله ثقات، ينظر أعلام النبلاء للذهبي، ٢/ ٢٩٢.

هكذا ربى الإسلام أتباعه من المؤمنين والمؤمنات، فكانوا كالجواهر المتلألئة كيفما نظرت إليها خلبت لبك.

ورضي الله عن أسماء كانت تتحمل في الشدة... وجلب النوى على رأسها علفاً لجمل الزبير (زوجها) ومن ثم تجود عندما يوسع الله لها في الرزق بكل ما عندها...

هذا العطاء والإيثار عم المجتمع الإسلامي الأول

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار بات به ضيف، فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه. فقال لامرأته: نومي الصبية، وأطفئي السراج، وقربي للضيف ما عندك. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: الآية ٩])[1].

لم تتردد الصحابية الكريمة، ولم تتوان، ولم تتثاقل عن فضيلة الإيثار. لقد غلبت عواطف الخير فيها كل العواطف، حتى عاطفة الأمومة.

فنزل بها وبزوجها ـ رضوان الله عليهما ـ قرآناً يتلى على مر العصور. فلتنظر المرأة المسلمة أي مستوى رفيع كانت عليه جداتها من الرعيل الأول... إن الإيثار، من مكارم الأخلاق وأعلاها سمواً. وقد مرت سابقاً صورة شامخة، مما خرجته مدرسة النبوة العظيمة.

لقد آثرت الأم ابنتيهما بتمرة وهي في أمس الحاجة إليها. فبشرها رسول الله ﷺ بالجنة لرحمتها ابنتيها وإيثارهما حتى على نفسها.

فالله الله في بناتك ـ أختي المسلمة ـ لا تؤثري عليهن إخوتهن وهن الضعيفات لعل رحمتهن تكون سبباً في عتقك من النار ووجوب الجنة لك.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

ولقد كان الإيثار في الطعام، وسيلة من وسائل المواساة ومعبراً عن الرحمة الفائضة من القلوب الرقيقة الرفيقة تتجه إلى الله تطلب رضاه ولا تبتغي بها جزاء من الخلق ولا شكراً ولا تقصد بها استعلاء على المحتاجين ولا خيلاء. . . وقد كان إطعام الطعام هكذا مباشرة هو وسيلة التعبير عن هذه العاطفة الكريمة ووسيلة الإشباع لحاجات المجاوع.

ولكن صور الإحسان ووسائله قد تتغير بتغير البيئات والظروف، إلا أن يجب الاحتفاظ به هو حساسية القلوب وحيوية العاطفة والرغبة في الخير ابتغاء وجه الله والتجرد عن البواعث الأرضية من جزاء أو شكر أو نفع من منافع الحياة)[1].

وقد قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: الآيات ٨-١٢] .

ولم يقتصر حب الخير والإحسان على نساء السلف، ولم يعدم واقعنا من نماذج تحتذى في إيثارها:

كانت (الحاجة زهرة) امرأة كهلة، ولم تكن ذات زوج أو ولد ـ عملت بضع سنوات بعيداً عن بلدها، كمربية أطفال عند أسرة متوسطة الحال. وبعد سنوات من العمل. . . جاءتها رسالة من بلدها تطلب منها المزيد من المال لإكمال مسجد هناك!

لقد كانت ـ على ضعف حالها ـ تأخذ راتبها وتجمع دريهماتها، لترسلها إلى بلدها لبناء مسجد فيه.

وهكذا فإن عمل الخير مرهون بالنية الطيبة، ومن حرص على فعله يسر الله له أسبابه.

---

(١) في ظلال القرآن: م٦/ ٣٧٨١.

والمؤمنة الصالحة تتعالى عن الانكباب النهم على ما في الدنيا من زينة ومتاع. تؤثر الخير والعمل به أكثر من راحتها ورفاهيتها. وتحبه أكثر من حبها للمال وجمعه. لا تؤثر نفسها على أهل بيتها بمطعوم أو غيره إلا لضرورة كمرض أو نفاس... إن إيثارها لغيرها قد يتعدى أولادها.

قد تؤثر زوجها بالطعام اللين والراحة الكافية لأنها تجد في قرارة نفسها أنه أحق منها بالراحة لما يكدحه طيلة يومه. فالأمور تقدر بقدرها بتسامح واستعلاء على المتع الفانية.

كانت (ع) امرأة سمحة مؤثرة لأسرتها عن نفسها، فكان من زوجها أن عرف فضلها، وقدر فيها أريحتيها...

لقد جعل الله بعد عسر يسراً... وتحسنت أحوال الزوج، فازدادت حظوة المرأة عند زوجها...

لقد أصبحت لائمتها بالأمس تتمنى لو أن لها مثل تلك المكانة!

ليت المرأة الأنانية تعتبر بالمواقف الطيبة... ليتها تعي أن هناك ما هو أثمن من المال وأثمن من المتاع والطعام!

كانت (س) ابنة متدينة ودودة. وصلتها مع إخوتها لا يشوبها كدر ولا يعكر صفاءها شيء.

بعد مدة توفي والدها، وخلف بعده تركة لا بأس بها.

وعند توزيع الميراث.. فوجئت الأم بأنها ستخرج من البيت الذي أمضت عمرها فيه ليباع البيت تبعاً لرغبة الأولاد... وكان الموقف الذي بهر الجميع: لقد رفضت البنت رغم حاجتها أخذ نصيبها من التركة. وآثرت به أمها فجعلت نصيبها لصالح الأم. وكان تصرفها هذا سبباً في استثارة نخوة إخوتها فعدلوا عن البيع. وبقيت الأم موفورة الكرامة في بيتها.

فلتعتبر ذوات المطامع الدنيوية، ولا يشغلن أنفسهن بالتفاهات.

٣ ـ نماذج رائعة لبذل المرأة المسلمة في تاريخنا الزاهر

في مواقف مشرقة للمسلمات المحسنات صور تملك لب اللبيب، وتبهر قلب الأريب... نذكر صوراً منها لنضعها بين يدي بنات اليوم:

كانت النسوة من سلفنا الصالح يجدن بما هو موجود. يتنافس في البذل والعطاء، ويتبارين في الإنفاق في سبيل الله.

ففي غزوة العسرة (تبوك) كما ذكرت أم سنان رضي الله عنها قالت: لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي رسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها فيه مسك ومعاضد وخلاخيل وأقرطة وقد ملىء مما بعث من النساء يعن به المسلمين في جهازهم)[١].

ذلك هو الجيل الرباني، جيل الصحابة الذين قهروا الشيطان في نفوسهم... إنهم لم يصبحوا عبيداً للدنيا، لقد ركبوها ولم تركبهم وعبّدوها فذللوها لله ولسلطانه ولم تستعبدهم. ولقد قاموا بالخلافة عن الله فيها بكل ما تقتضيه الخلافة عن الله، من تعمير وإصلاح ولكنهم كانوا يبتغون في هذه الخلافة وجه الله ويرجون الدار الآخرة فسبقوا أهل الدنيا في الدنيا ثم سبقوهم كذلك في الآخرة)[٢].

وفي تاريخ السلف الصالح صور مشرقة أيما إشراق كانت المرأة فيها عوناً للرجل على العطاء: (عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها. فأمره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها.

---

(١) حياة الصحابة، ١/ ٤٢١ والخلاخل: حلية تلبس في الرجل كالسوار لليد.
والأقرطة: ما تعلق في شحمة الأذن، والمعاضد جمع معضد وهو الدملج.
(٢) الظلال، م٢/ ١٠٧٢.

فقال له النبي ﷺ: «**أعطه إياها بنخلة في الجنة**». فأبى.

قال: فأتاه أبو الدحداح فقال له: بعني نخلتك بحائطي. (أي بستاني) قال: ففعل، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ابتعت النخلة بحائطي فاجعلها له. فقد أعطيتها.

فقال عليه الصلاة والسلام: «**كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة، قالها مراراً. قال: فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط، فإني قد بعته بنخلة في الجنة**.

فقالت رضي الله عنها: ربح البيع[1].

رضي الله عن أبي الدحداح السخي المعطاء، ورحم الله أم الدحداح في سرعة استجابتها في العطاء...

لم تتأفف، ولم تتردد ولم تتوان لحظة، بل بادرت بالتشجيع لزوجها...

ونعم ربح البيع.

فذلك خير لها من زخارف الدنيا مهما كثرت، ومن بهارجها مهما تزينت.

وعلى حب الخير، ووضع المال في موضعه لإزالة كرب المكروبين، كان سلفنا من الصالحات.

كانت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز تقول: أف للبخل، لو كان قميصاً ما لبسته. ولو كان طريقاً ما سلكته. وكانت تقول: جعل لكل قوم نهمة. وجعلت نهمتي في البذل والعطاء.

والله للصلة والمواساة أحب إلي من الطعام الطيب على الجوع ومن الشراب البارد على الظمأ)[2].

---

(١) الإصابة، جـ /٤/٦٠.

(٢) صفة الصفوة، ٢/٢١٠، وسير أعلام النبلاء، ١/١٥٣.

هذا ويستمر العطاء ويكثر الإغداء في العصور الإسلامية روى الخطيب أن زبيدة زوجة الرشيد حجت فبلغت نفقتها في ستين يوماً أربعة وخمسين ألف ألف درهم.

قال عبد الله بن المبارك: رأيت زبيدة في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقالت: غفر لي في أول معول ضرب في طريق مكة[1].

وكانت رحمها الله قد مدّت الماء العذب من جبال الهدى إلى مكة المكرمة. أكرم بها من خيرة بارة. لم يطغها الغنى. ولم تبطرها النعمة. كانت تنفق في سبيل الله إنفاق من لا تخاف الفقر.

و«ماء زبيدة» الذي سعت لإيصاله لأهل البلد الحرام لا زال شاهداً على ما يمكن أن تعمله الخيرات حتى اليوم.

وفي سنة ٣٠٦هـ في أول يوم من المحرم فتح المارستان الذي بنته السيدة أم المقتدر، ورتبت فيه الأطباء والخدم وكانت نفقته في كل شهر ستمائة دينار»[1].

وكان دخلها من أملاكها في كل سنة ألف ألف دينار. فكانت تتصدق بأكثر ذلك على الجميع في أشربة وأزواد وأطباء يكونون معهم وفي تسهيل الطرقات والموارد»[2].

وفي سنة ٣١٥هـ كانت مواجهة بين القرامطة وجند الخليفة العباس المقتدر وقتلوا خلقاً كثيراً. وشاع بين الناس أن القرامطة يريدون أخذ بغداد فانزعج الناس لذلك. فاجتمع علي بن عيسى الوزير بالخليفة وقال:

ـ يا أمير المؤمنين، إن الأموال إنما تدخر لتكون عوناً على قتال أعداء الله وإن هذا الأمر لم يقع بعد زمن الصحابة أفظع منه. وقد قطع هذا الكافر[3]

---

(١)(٢) البداية والنهاية /لابن كثير، حـ /١١ ص١٢٨ وص ١٧٥.
(٣) أبو طاهر القرمطي.

طريق الحج على الناس وفتك في المسلمين مرة بعد مرة. وإن بيت المال ليس فيه شيء فاتق الله يا أمير المؤمنين وخاطب السيدة (يعني أمه) لعل يكون عندها شيء ادخرته لشدة فهذا وقته. فدخل على أمه فكانت هي التي ابتدأته بذلك. وبذلت له خمسمائة ألف ألف دينار، وكان في بيت المال مثلها فسلمها الخليفة إلى الوزير ليصرفها في تجهيز الجيوش لقتال القرامطة[1].

● وبقيت المسلمة الصالحة تتحرى سبل الخير لتسلكها:

ست الشام خاتون بنت أيوب؛ أخت الملوك وعمة أولادهم كانت من أكثر النساء صدقة وإحساناً إلى الفقراء والمحاويج. وكانت في كل سنة وفي دارها تعمل بألوف من الذهب، أشربة وأدوية وعقاقير وغير ذلك وتفرقه على الناس»[2]. وهكذا، وعلى مر العصور، فللمرأة المسلمة باع طويل في صفوف البر المختلفة إن قلبها الرقيق يرثي لحال المساكين، ونفسها الشفوقة ترحم المرضى المحتاجين.

وربيعة خاتون: أخت السلطان صلاح الدين، واقفة الخاتونية الجوانية والخانقاه البرانية.

وقد وقفت رحمها الله المدرسة بسفح قاسيون على الحنابلة، وكذلك وقفت مدرسة أخرى بدمشق[3].

إنه عمل صالح يظل ثوابه لما بعد الموت، وأجر باق إن شاء الله ما دام الناس ينتفعون به ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: الآية ٢٦]

ولم يعدم تاريخنا المشرق على توالي الأيام من قدوات خيرات في تربية الأبناء وكسب القوت للأيتام، وإيثار ذلك على ما سواه:

---

(١) البداية والنهاية، جـ ١١/١٥٦.
(٢) المصدر السابق، حـ١٣/ ٨٤.
(٣) المصدر السابق، حـ١٣/ ١٧٠.

● **لقد توفي والد نجم الدين الغزي. وبعد وفاة والده أحسنت أمه تربيته** وإخوته، علمتهم الصلوات والأداب وحرصت على تعليمهم القرآن. وقامت على كفالتهم بما يفوق ما يقوم به الرجال، راغبة من الله سبحانه في حسن الثواب وجزيل الحظ من قوله عليه السلام: أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أني أرى امرأة تبادرني فأقول لها: مالك أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي[1].

. . . لقد أحسنت أمه التصرف في أموال أولادها ولم تحملهم منة أحد. وكانت تقول: ذلك ببركة والدهم. . . ثم إنها أشغلتهم بقراءة القرآن وطلب العلم[2].

وبقيت نساؤنا الفاضلات علماً في تمسكهم باللباب وابتعادهم عن القشور.

وفي القرن الحادي عشر الهجري:

● **كانت (فاطمة الشقوري) رحمها الله** من الزاهدات العابدات المجتهدات. ولما توفي زوجها ترك أولادها صغاراً. . . وكان الزمان إذ ذاك شديد الأهوال والشرور والغلاء، وقد أكل الأموات جهاراً بشوارع فاس. فكانت تجتهد في طلب الكسب من عمل يديها بما يحصل قوتها وقوتهم. فكان خالها يشتري لها قدراً معلوماً من الكتان تغزله ويبيعه لها وما يفضل يشتري لها قدراً معلوماً من القمح والشعير فتصنع به خبزة واحدة لتقسمها أربعة أقسام لها ولأولادها الثلاثة في تلك المجاعة. . وحيث تتيقظ آخر الليل تغزل غزلاً آخر وهي تذكر الله وتصرف ثمنه في أجرة معلم أولادها القرآن. . .[3].

---

(١) رواه أبو يعلى وقال الحافظ المنذري: إسناده حسن.

(٢) المختار المصون، د. سيد بن حسين العفاني، /٢/١١٢٩.

(٣) المصدر السابق، /٢/١٢٩٧.

وهكذا... فإن الرحمة التي وضعها الله في قلوب النساء واختصت بها أكثر من الرجال تؤهلها لأدوار شفوقة قد يعجز عنها الكثير. إنها تتخلى عن راحتها ورغباتها وتؤثر على نفسها في سبيل عقيدتها ومبدئها.

فيا أختي المسلمة، يا من كنت غرساً من غراس الإسلام العظيم، اسق هذا الغرس من فيض حنانك. ولا تسبقنك نساء الكفر. حيث تقدم «النصرانيات» المال والملابس.

حتى أضحت تبرعات اللوثري النصرانية، معروفة في العالم وثمنها هو تنصير الأسر البائسة التي يتظاهرون بالعطف عليها.

والمرأة اليهودية، مثال البخل في كل أمور حياتها... لكنها مع عدم اهتمامها بمظهرها واكتفائها بالطعام البسيط والبيت المتواضع... فإن ما توفره كانت تضعه في صندوق التوفير اليهودي ـ وذلك قبل قيام الكيان الصهيوني... لقد عادت «غولد مائير» بخمسين مليون دولار بعد حملة تبرعات واسعة في أمريكا في بدء (قيام ما يسمى بـ (دولة إسرائيل) وقد قال عنها ابن غوريون سيقال عند كتابة التاريخ: إن امرأة يهودية أحضرت المال وهي التي صنعت الدولة.

وفي تاريخنا المعاصر نماذج طيبة خلال التبرع للمجاهدين في أفغانستان وفي البوسنة، لقد جمع الذهب أكداساً من النساء الفاضلات، ليوضع بين يدي المجاهدين.

ومن أجل حفظ القرآن الكريم وفي إحدى حفلات تشجيع الحافظات لكتاب الله كان التنافس في الخير بين النساء المؤمنات، فمعلمة تتبرع براتب شهر وأخرى تتبرع بجزء شهري دائم من راتبها... فضلاً عن تبرعات سخية من الثريات تعدل آلاف الدولار...

وما يزال الخير في أمة محمد حتى يوم الدين:

● ثلة من الأخوات الطيبات... وقد تدارسن أحوال المسلمين في العالم وساءهن الحال المشين الذي يعاملون به، والصمت المطبق في محنهم العديدة وعدم مساعدتهم ومناصرتهم...

ما كان منهن إلا دفعن بما لديهن من مصاغ وحلي ومجوهرات وكانت كثيرة القيمة مادياً ومعنوياً.

فما قيمة الزينة والحلي إذا كانت أمتنا في خطر، وأعراض المسلمات تمتهن. إن كل شيء يهون أمام العقيدة والعرض. فلن يخذلن ـ وهن المسلمات ـ مسلمي العالم الذين يدافعون عن حوزة الدين.

وهن يقرأن حديث الرسول ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه**».

سارعن إلى التجاوب فكن صورة مشرقة للمسلمة المحسنة في عصرنا الحاضر، تعيد للأذهان صورة الصحابيات يوم تبوك يوم غزوة العسرة.

إننا لم نعدم المحسنات ولله الحمد في كل العصور، فهناك نماذج عصرية مشاهدة:

● كانت (م) معلمة تعمل في الغربة، جمعت دريهمات بكدها وجهدها... أرادت عملاً يبقى لما بعد الموت ثقة منها بما في يد الله...

وبإمكانياتها المحدودة عملت لفتح دكان صغير لقريب لها، أعجزته عاهته عن الكسب، فأعفّته وأسرته عن مرارة الحاجة وذل السؤال.

وبمثل تلك الخيرة تبنى المجتمعات.

● كانت (ب) تعمل في خياطة الملابس النسائية، تحسن بذلك في استغلال وقتها.

ومن ثم تجود بأكثر دخلها لأعمال البر، كانت تعين أسرة فقيرة. رتبت لها إعانة شهرية تبذلها من مجهودها في الخياطة.

فبارك الله في سعيها. . .

● كانت (د) وصاحباتها يجمعن ثياباً تستر أخواتهن المسلمات وتقيهن غوائل الحر والبرد. فيشعرن أن هناك قلوباً حانية تتجاوب معهن.

وتتعدد أوجه الخير:

● لقد جعلت (ق) من بيتها واحة نضرة لذكر الله.

جعلت منه مكاناً لسماع المواعظ والمحاضرات، ومدرسة لإرشاد التائهات. فتأتي (بعد العصر) أنواع المسلمات بين المحجبات التقيات، وبين الباحثات عن الحق، ولا يخلو الجمع من بعض الفضوليات. . .

كانت تجعل بيتها تحت تصرفهن. . ويكل كرم نفس لا تجد غضاضة في أن تنظف البيت بنفسها، وقد تعاونها على ذلك بعض الأخوات.

إنه وإن لم يكن دور المرأة يتناسب مع طموحاتنا وآمالنا، لكنه خطوة على طريق السلف. وهذه بذور طيبة، لعلها تنبت ظلالاً وارفة إذا وجدت تربة خصبة ورياً وتعاوناً.

٤ ـ السعادة الحقيقية

فلاسفة هذا الزمان، بحثوا عن السعادة فلم يجدوها، وأخيراً قالوا: «عش في حدود يومك». فما أغنى عنهم المال، ولا ناطحات السحاب. وما سعدوا وقد جهلوا حقيقة الخلق:

وما يغنيك تشييد المباني إذا بالجهل نفسك قد هدمتا

والسعادة المنشودة هي السعادة الحقة، إنها الرضى بالقدر، وعدم التفكير الطويل بالفانية وانشغال البال فيها، إنها في العمل الصالح الباقي والتطلع إلى ما عند الله من الأجر وبه تواجه المسلمة الصعاب وتتخطى العقبات.

«من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له»[١].

فيالخسارة من شغلتها الدنيا عن الآخرة. وبشرى لك أختي التقية فالله وحده تكفل بحفظك من جميع الهموم، يبعد عنك ضيق الصدر وشتى الوساوس، وما قيمة المال والترف إذا كانت النهاية البائسة التعيسة هي التي تنتظر أصحابها: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش»[٢].

إن من ركن إلى الدنيا أحرقته بنارها، ولم يجد طعم السعادة، ولن تتحقق مآربه.

---

(١) أخرجه الترمذي عن أنس، وقال الألباني حديث صحيح، ينظر صحيح الجامع الصغير، /٢/ ١١١٠.

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة، المصدر السابق، جـ ١/ ٥٧٠.

وما كان المال يوماً سبباً للسعادة، بل قد يكون المال عائقاً أمام السعادة أو ما سمعت عن فراق كان سببه تنافر الزوجة مع زوجها الفقير وتعاليها عليه؟!

أو ما جالست يوماً من تنعم في بيتها بصنوف الملذات.. وألوان الرفاه والراحة؟! ثم بعد ذلك كله تشكو ضيق الصدر وكثرة الهموم «والطفش»؟!

«الطفش» تلك الكلمة التي ما تفتأ تعود من الفسحة إذا بها تشكو الطفش ثانية!

إن صنوف الترفيه المختلفة لن تجدي... وستبقى دائماً حزينة شاكية باكية لا نتفسح، لا نتسوق، ليس عندنا كأولئك... إلخ.

والله تعالى يقول: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٢٥].

هنيئاً لمن وسعت لنفسها في دار البقاء ولو ضاقت عليها في دار الفناء.

وتباً لتلك الساخطة رغم نعم الله التي بها والرخاء الذي يغمرها.

ولو تطلعنا في صحيفة أو مجلة من المجلات، لا يكاد يخلو عددها من مناشدة امرأة عاملة تستصرخ ذوي الألباب... وكل مرة كان المال (راتبها) سببها لتعاستها!

وتلك فتاة أخرى، أبى أهلها تزويجها ولسان حالهم يقول: كيف يذهب خيرنا لغيرنا؟!

ومن أغرب ما نمي لأسماعنا:

أن امرأة حيية متدينة، كان (أبوها) كلما جاءها خاطب يأتي بنفسه ويسألها: أترضين الزواج يا (....) من فلان؟! فترفض حياء!

إنه لم يشأ أن تتولى أمها سؤالها، بل كان يسألها هو... تذمماً!

وهكذا.. فاتها قطار الزواج لأن الأب خاف على تركته أن يشارك فيها الرجل الغريب، كما كان يقول!

فأين السعادة الدنيوية التي حصلتها صاحبة المال؟!

فالسعادة ليست بكثرة المال، ولا بوفرة الحاجات، وليست بزيادة الملهيات.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له**»(١).

وأي جهل للمرأة أكثر من ركونها للفانية، وانشغالها بتجميع الملابس والزينة والأثاث.

والتقية هي التي تسعد نفسها، بالقناعة بالرضا بالمقدر، فبالإيمان تحيا سعيدة مهما كانت ظروفها: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [النحل: ٣٠] وقد جاء في الحديث الشريف: «**من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»(٢).

ونصائح السلف تدلنا على أبواب السعادة، وأسباب شرح الصدور. فقد ذكر ابن القيم رحمه الله من أسباب شرح الصدور:

الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكن من المال والجاه، والنفع بالبدن وأنواع الإحسان وقال: **إن الكريم المحسن أشرح الناس صدراً وأطيبهم نفساً** وأنعمهم قلباً. والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدراً. وأنكدهم عيشاً وأعظمهم هماً وغماً. وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً للبخيل والمتصدق

---

(١) رواه أحمد والبيهقي وزاد: ومال من لا مال له، وقال المنذري: إسنادهما جيد. ينظر الترغيب والترهيب، جـ٤/ ١٧٨.

(٢) رواه ابن ماجه والترمذي.

كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد، كلما همّ المتصدق بصدقة اتسعت عليه وانبسطت حتى يجر ثيابه ويعفى أثره. وكلما هم البخيل بالصدقة لزقت كل حلقة مكانها ولم تتسع عليه. فهذا مثل انشراح صدر المؤمن المتصدق وانفساح قلبه ومثل ضيق صدر البخيل وانحصار قلبه»[1].

فالزهد في المال سعادة. وفي البذل والكرم سعادة. وفي الشح ضيق وتعاسة.

ومن اشتاقت إلى الجنة زهدت في الشهوات. ولم تبدد مالها في الملذات ولم تيأس على ما فات، ترضى بما هو موجود، ولا تتطلع إلى مفقود. فيها سكينة ورضى وطمأنينة ـ مهما كان وضعها المادي ـ تتمناها المترفات.

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم، جـ١/ ١٥٣.

٥ ـ أهي دعوة للتقشف ؟!

وهل هذا يعني تحريم الطيبات؟

وهل نترك كل ما في الدنيا من زينة ونقبل على الآخرة فقط، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القَصَص: الآية ٧٧] ؟!

أختي المسلمة: لا تظني أننا نريد لك التقشف وحياة الكفاف. ولا نريد أن تكون الحياة بؤساً وشقاءً.

معاذ الله، والله تعالى يقول: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: الآيتان ٣١، ٣٢] .

كما أننا لا ندعو إلى ترك الزينة المباحة للزوج، فلا تهملي نفسك، احرصي على جمالك وأناقتك بحدود الاعتدال. إنما فقط ندعوك كي تعيدي النظر إلى دولاب ملابسك، واحصي ما عندك... ثم ها أنت بعد ذلك تطلبين المزيد! أسأله تعالى أن يعطيك العمر المديد للبس ما عندك بل وغيره أيضاً.

إننا نريد الاعتدال والتوسط، لأن حب الدنيا دخل القلوب، ونخشى من الوهن والتعلق المستمر في حطامها.

وقليل يكفي خير من كثير يطغى. كما قيل.

إن الترف المشين قد تعدى المترفات ليصل إلى النساء العاملات، فقد تنفق المرأة ما شقيت به لأجل التوافه وتقليداً للآخرين ومحاكاة لهم. ليس في الزينة والملابس فحسب بل التقليد الأعمى والسفر لأجل الترفيه على ما فيه من

محرمات والبذل المتهور الأحمق في سبيل ذلك. فهذا مما ينافي حكمة التشريع.

أما الترفيه المعتدل المشروع فهو مما نعمله تأسياً برسولنا ﷺ وسلفنا الصالح... وأما إظهار النعم من غير مبالغة فقد دعا إلى ذلك الرسول ﷺ:

عن أبي الأحوص عن أبيه قال: رآني النبي ﷺ وعلى أطمار قال: هل لك من مال؟ قال، قلت: نعم.

قال من أي المال؟ قال: من كلِ قد آتاني الله من الشاء والإبل. قال: فلير نعمة الله وكرامته عليك[1].

وقال البغوي رحمه الله، هذا في تحسين الثياب بالتنظيف والتجديد عند الإمكان من غير أن يبالغ في النعامة والدقة، ومظاهرة الملبس على الملبس على ما هو عادة العجم. وقد روي أن النبي ﷺ كان ينهى عن كثير الإرفاه»[2]. فهل الرفاهية هي مقياس الحضارة؟!

إننا نجد الدول تسير على سياسات تقشفية، وتبذل جهدها لجذب المستثمرين لجعل أموالهم تصب في خضم الدولة الاقتصادي... وتعمل المؤتمرات الكثيرة والخطط المتوالية، فماذا عنا نحن؟!

والله سبحانه وتعالى قال في قوم عاد: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشعراء: ١٢٨ ـ ١٣٥].

فالمال يجب أن ينفق فيما هو ضروري ونافع لا في الترفيه والزينة ولإظهار البراعة والمهارة.

---

(١) أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وإسناده صحيح ينظر شرح السنة، ٤٨/١٢.
(٢) شرح السنة، ٤٩/١٢.

وقد قال ابن تيمية رحمه الله:

«المال إذا قام بالواجبات فيه ولم يكتسبه من الحرام لا يعاقب عليه. لكن إخراج فضول المال والاقتصار على الكفاية أفضل وأسلم وأفرغ للقلب وأجمع للهم وأنفع في الدنيا والآخرة»[1].

نرجو من الله تعالى أن تكون أموالنا حجة لنا لا حجة علينا، وأن نخرج من هذه الدنيا كفافاً لا لنا ولا علينا. إنه سميع الدعاء.

---

(١) الفتاوى، ١١/١٠٧ ـ ١٠٨.

الفصل الخامس

ميزان الاعتدال

١ ـ الزهد المشروع

٢ ـ مفهوم الاقتصاد والتوفير على ضوء الإسلام

٣ ـ التوسط والاعتدال في الإنفاق

٤ ـ ميزانية الأسرة

١ ـ الزهد المشروع

الزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة. وهذه العبارة المعروفة عن ابن تيمية هي أحسن ما قيل في الزهد.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله في رواية له: أن الزهد في الدنيا هو عدم فرحه بإقبالها ولا حزنه على إدبارها. فإنه سئل عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهداً؟ قال: نعم، شريطة أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت. وبمثل هذا المعنى قال الجنيد: الزهد في قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: الآية ٢٣] فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود، ولا يأسف فيها على مفقود)[١].

وسئل مالك رحمه الله عن الزهد في الدنيا فقال: طيب الكسب وقصر الأمل)[٢] فالتزود للآخرة هو أساس الزهد:

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس اتقوا الله، وأجملوا في الطلب. فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها. فاتقوا الله وأجملوا في الطلب. خذوا ما حل ودعوا ما حرم**»[٣].

وإذا أحببنا أن نلحق بسلفنا الصالح سلكنا سبيلهم، وقنعنا بالقليل. وآثرنا الباقية على الفانية. ولم تلهنا الأهواء، ولم تشغلنا الشهوات. نستصغر الدنيا وما

---

(١) تهذيب مدارج السالكين: ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) شرح السنة للبغوي، ١٤/ ٢٣٣.

(٣) رواه ابن ماجه واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، ينظر الترغيب والترهيب، ٢/ ٥٣٤.

فيها من زينة وبهارج، طمعاً بالفوز بالدرجات العالية. فقد كان رسولنا ﷺ القدوة في ذلك، وكانت زوجاته رضوان الله عليهن مثلاً نحتذي به.

فقد كان طعام خير الخلق: الخبز، وإدامه الزيت وقد يبيت وأهله طاويين.

وقال الفضيل: خصلتان **تقسيان القلب: كثرة الكلام وكثرة الأكل**[1].

وقد مر معنا سابقاً، أن وسادة رسول الله ﷺ التي يتكىء عليها كانت من أدم وحشوها ليف.

وصدق المصطفى ﷺ: **«قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه»**[2].

فالقناعة القناعة يا عباد الله، ولنا فيما سلف خير قدوة، أما واقعنا المعاصر، فنستغفر الله من واقعنا...

فالجاهلات يقبلن على الدنيا ذلك الإقبال الجشع.. يلهيهن الإنفاق الباذخ والعيش الوفير!

وبعد هذا، فلا تظنن أن الخير في ضيق ذات اليد، ولا يدور بخلدك أن الأفضلية في قلة المال. فمدار الأمر على النية الصالحة. وحسن استخدام المال قليلاً أو كثيراً.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم.

وفي الحديث الآخر: لما علم الفقراء الذكر عقب الصلوات سمع بذلك الأغنياء فقالوا مثل ما قالوا. فذكر ذلك الفقراء للنبي ﷺ فقال: **«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»**.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٨/ ٤٤٠.

(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي وغيرهم ـ ينظر صحيح الجامع الصغير، ٢/ ٨٠٥.

فكان هذا التسابق بين الأغنياء والفقراء، وتسابق نحو الإكثار من الأعمال الصالحة. وقد ذكر ذلك لابن تيمية رحمه الله فأجاب:

الفقراء متقدمون في دخول الجنة لخفة الحساب عليهم. والأغنياء مؤخرون لأجل الحساب. ثم إذا حوسب أحدهم، فإن كانت حسناته أعظم من حسنات الفقير، كانت درجته في الجنة فوقه وإن تأخر في الدخول)[1].

فالدنيا فانية، والإنسان ضيف مرتحل عاجلاً أو آجلاً. والمال بيده عارية عنده:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله عارية، والضيف مرتحل والعارية مؤداة[2].

فإذا عرف المسلم هذه المعاني، وربينا أنفسنا ومن نعول على ذلك... وإذا عرفت المرأة مكانة الدنيا في ميزان الله.. فُزنا بإذن الله... ولما أقبلنا عليها ذلك الإقبال الشنيع، كل يحاول أن يعب فوق طاقته، ويلهث جاهداً لانتهاب ما فيها من مسرات.

والمسلمة التقية تقوم بحق النعمة في عصر يتكالب فيه الناس على المادة. إن دنيانا المعاصرة أصبحت دنيا المادة، دنيا المطامع مع الأسف إلا من رحم الله... فما أحوجنا إلى وقفات نحاسب فيها نفوسنا، ما أحوجنا إلى الزهد النافع المشروع الذي يحبه الله ورسوله، إلى الزهد فيما لا ينفع في الآخرة. فأما ما ينفع في الآخرة وما يستعان به على ذلك، فالزهد فيه زهد في دواع من عبادة الله وطاعته.

... والزهد في النافع جهل وضلال كما قال النبي : «**احرص على ما**

---

(١) الفتاوى لابن تيمية، جـ١١، ص٢٠.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي، ٥/ ٦٠.

ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن»[1].

إن ترك فضول المباحات هو من الزهد المباح. أما الامتناع عن فعل المباحات مطلقاً كالذي يمتنع عن أكل اللحم وأكل الخبز وشرب الماء أو لبس الكتان أو القطن ولا يلبس إلا الصوف ويمتنع عن نكاح النساء، ويظن أن هذا من الزهد المستحب فهذا حاصل هناك من جنس زهاد النصارى. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المائدة: الآيتان ٨٧،٨٨] .

وقد نزلت هذه الآية بسبب أن جماعة من الصحابة كانوا قد عزموا على ترك أكل الطيبات واللحم ونحوه وترك النكاح)[2].

والفعل الواحد في الظاهر يثاب الإنسان على فعله مع النية الصالحة ويعاقب على فعله مع النية الفاسدة.

فمن ترك جميل الثياب بخلاً بالمال لم يكن له أجر. ومن تركه متعبداً بتحريم المباحات كان آثماً.

ومن لبس جميل الثياب إظهاراً لنعمة الله واستعانة على طاعة الله كان مأجوراً. ومن لبسه فخراً وخيلاء كان آثماً. فإن الله لا يحب كل مختال فخور»[3].

وبإيجاز: فالمباح بالنية الحسنة يكون خيراً وبالنية السيئة يكون شراً والمرء يثاب على مباحاته التي يقصد بها الاستعانة على الطاعة[4].

---

(١) الفتاوى، ١٠/ ٥١١.

(٢)(٣) الفتاوى لابن تيمية، جـ٢٢/ ١٣٤ ـ ١٣٩.

(٤) الفتاوى لابن تيمية، جـ٧، ص٤٣.

وهذا ما يتناسب مع الفطرة السوية، ومع روح الدين الإسلامي الداعي إلى عمارة الأرض، وقيادة البشرية.

فالنية الصالحة هي أساس الأعمال، والنية الخالصة لله تعالى في كل عمل عليها مدار الشرع الحنيف. وحذار من ترك ضروريات الحياة وما يقيم عمارة الأرض، ويبني حضارة الإسلام.

وهنيئاً لمن لم يشغلها المال عن طاعة الله. ولم يدفعها الطمع إلى التطلع إلى ما عند الناس، ولم يدفعها الجشع إلى منع أصحاب الحقوق حقوقهم. فهي ترفل في ثياب العز، وترفرف عليها إشارات السعادة.

هنيئاً لمن لم يضجرها الفقر، فهي في رضى وطمأنينة، رغم ما يظن بها من ضنك وحرمان. لأن المحرومة في قاموسها: من حرمت لذة الطاعة. لا من حرمت من اللذة الوقتية الفانية.

المحرومة من حرمت النعيم المقيم، وإن حازت على لذة الغافلات الفرحات بالدنيا وزينتها.

هنيئاً لمن تحسن استغلال النعمة، ووضع كل شيء في موضعه إن لها أنيساً في وحشتها يوم ينفض عنها المحبون.. فإذا ووريت الثرى وضمها القبر، فلن تجد إلا عملها الصالح ونعم الأنيس لها وقد جاء في الحديث الشريف: **«يتبع الميت ثلاثة: أهله وعمله وماله، فيرجع اثنان ويبقى واحد. يرجع أهله وماله ويبقى عمله»** متفق عليه.

٢ ـ مفهوم الاقتصاد والتوفير على ضوء الإسلام

الاقتصاد: هو أقل ما تدعو إليه الحاجة[١].

والاقتصاد ليس بخلاً، وإنما هو تخطيط؛ وقد عرف العرب منذ القدم بالكرم، لذا فالمشاكل المالية لا تكون غالباً بسبب البخل بقدر ما هي بسبب الإسراف والبذخ.

والتهور في الإنفاق، يبعثر المال فتستنزف خيرات الأمة في مطالب للتسلية والترفيه، وتهدر أموالها فيما لا طائل تحته.

ولو تطلعنا إلى العالم بأسره، لوجدنا أن الفقر هو أعدى أعداء الشعوب ولوجدنا أن غالبية المشاكل في المجتمعات إنما هي مشاكل اقتصادية. تنمو بالفقر فتنبت به الثورات الجائحة.

ومن مسببات الفقر الرئيسية: الاستهلاك غير الضروري، الذي يساهم بدوره في اختلال النظام المالي.

والإسلام نظم طرق الإنفاق. وليس ذلك إلى رأي المرأة ومزاجها!

فإن القادرة مكلفة شرعاً بأداء حق الله لا طواعية ولا تفضلاً منها! واجبها أن تتروى قبل الإنفاق، تقتصد لتعين ذا الحاجة الملهوف، تدخر لتخفف المعاناة عن أبناء وبنات المسلمين...

وتتقرب إلى الله بذلك: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ قال: «**إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة**

---

(١) هذا ما قاله الخطابي، ينظر شرح السنة، جـ١٢/ ٥٥.

وعشرين جزءاً من النبوة»[1].

أي أن هذه الخصال من شمائل الأنبياء وأنها جزء من أجزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها.

وقد قال عمر رضي الله عنه: ليس من عبد إلا بينه وبين رزقه حجاب فإن اقتصد أتاه رزقه. وإن اقتحم هتك الحجاب ولم يزد في رزقه[2].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: حسن التقدير في المعيشة أفضل من نصف الكسب)[3].

وقد قال سفيان الثوري رحمه الله: كان المال فيما مضى يكره، لكنه اليوم ترس المؤمن!

هذا ما يقوله رغم ما عرف عن زهده الشديد.

فحسن التدبير مطلوب، وحسن التقدير محبوب. ذلك أن المال ترس المؤمن، يعينه في اتقاء غوائل الدهر.

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: لا خير فيمن لا يجمع المال، فيكف به وجهه ويؤدي به أمانته، ويصل به رحمه.

وحكي عنه أنه لما مات ترك دنانير، فقال: «اللهم إنك تعلم أني لم أتركها إلا لأصون بها ديني وحسبي»[4].

فبالمال يصون المرء دينه، ويؤدي به الأمانة ويصل به الأرحام، ويعين

---

(١) رواه أبو داود في الأدب وأحمد والبخاري في الأدب المفرد وحسنه الترمذي، ينظر شرح السنة، ١٣/ ١٧٧.

(٢) عيون الأخبار، جـ٣/ ٢٠٤.

(٣) عيون الأخبار، جـ١/ ٤٥٣.

(٤) شرح السنة ١٤/ ٢٩١ .

على استقرار الأسرة وسعادتها حتى قيل:

اقتصاد متوازن يعني أسرة متوازنة!

ونحن نقول: بل إن ذلك يعني مجتمعاً متوازناً بعيداً عن المشاكل المالية. (ويفضل أن تستقطع الأسرة جزءاً من دخلها المالي لادخاره شهرياً بقدر الإمكان مع وجوب حسن استثمار تلك المدخرات لتعود على الأسرة والمجتمع بالفائدة ولتكون عوناً للأسرة على مواجهة الظروف الطارئة.

وهنا نود أن نشير إلى ضرورة تخصيص جزء من المال للتصدق حتى يبارك الله في أموالنا)[1].

وقد عرفت بعض النسوة قيمة الاقتصاد. فبادرن لعمل ما يعرف (بالجمعيات) وفيها تستقطع المرأة جزءاً من الدخل شهرياً مع مجموعة من زميلاتها على أن يعطى ما يجتمع من ذلك شهرياً وبصورة دورية للمشاركات.

وهذا يدل على بداية الوعي المادي لديهن. لا سيما إذا استفدن منه لأمور ضرورية. على أن لا يذهب ما يوفر ويجمع لشراء الحلى ومواد الزينة وغير ذلك من الكماليات.

فالمرأة الواعية تدبر أمور المنزل بحدود الاستطاعة، وحسب الحاجات الأساسية... مع قلب خاشع ونفس متواضعة، متطلعة إلى رضى الرحمن، فعن معاذ بن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**من ترك اللباس، تواضعاً لله وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها**»[2].

أما أن تلبس المرأة كما تلبس صديقتها لتصبح راضية سعيدة... وإلا

---

(١) مدخل في الاقتصاد المنزلي ٣٢٢ .

(٢) رواه الترمذي، وهو حديث حسن، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١٠٥٨/٢.

فتمضي وقتها كسيرة النفس كثيرة الأحزان، فذلك يدل على ضيق أفق وضحالة تفكير، ويعد عن الفهم الجوهري للإسلام.

والاقتصاد في الإسلام يتعدى اللباس إلى أثاث المنزل.. وبناء البيوت والسيارات وغيرها من وسائل النقل:

قال رسول الله ﷺ: «**فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يكون إبل للشياطين وبيوت للشياطين.. فأما إبل الشياطين فقد رأيتها. يخرج أحدكم بنجيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيراً منها ويمر بأخيه قد انقطع فلا يحمله**».

وأما بيوت الشياطين، فلم أرها)[2].

فما زاد عن الحاجة من مأكول وملبوس، ومركوب، وبيوت... كلها من عمل الشيطان وتزيينه.

وإن كثيراً من النسوة، بلغ بهن الأمر أن يركزن على المظاهر والاهتمام بها أكثر من اهتمامهن بالطعام الذي يقيم أود الأسرة.

إن تقديم الضروريات على الكماليات. دليل حكمة المرأة ورجاحة عقلها. فهو يحفظ للمسلمين ثروتهم، فلا تذهب أموالهم إلى جيوب أعدائهم! واختصار الأمور الثانوية يغنيهم عن الحاجة لرؤوس الأموال الأجنبية.

ويغني الأمة، فلا يبقى طعامها وسلاحها بأيدي أعدائها!

والمال القليل إذا جمع يصنع الكثير. وبالمدخرات تمول المشاريع

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في اللباس والزينة، باب كراهة ما زاد عن الحاجة.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد، وإسناده حسن، ينظر شرح السنة، ١٢/٥٥.

الاقتصادية المختلفة. فتتوفر فرص العمل مما يعين العاطلين. ويوصد أبواب الفقر بتوفير حد ملائم من الدخل.

والاقتصاد في المعيشة، واجب يجب أن لا تغفله المسلمة، وهو دور فعال لها لا يصح تجاهله. لأن الوقاية من الحاجة والعوز، لا يقل أهمية على معالجتها إذا وقعت. **بل الوقاية أولى من العلاج.**

فلا نلجأ للتبرعات، وبإمكان المرأة المساهمة بإيجاد فرص العمل وذلك باستثمار مدخراتها، وبالاقتصاد في مطالبها.

ونظرة إلى كثرة المطاعم والإقبال النهم عليها ترينا مدى الداء المستشري من الكسل والترف وعدم التقدير لوضع الأمور في نصابها.

فمن ألجأتها الضرورة إلى ذلك لعجز صحي أو ظروف مفاجئة...

فالضرورة تقدر بقدرها؛ أما الواقع المترف المرير فهو ينتظر العلاج! ومن لهذا الواقع المرير غير الأيدي الناعمة لتصنع ما يكفي أسرتها، ويرقى بمجتمعها حتى يعم الرخاء والسعادة جميع أفراده؟!

لا نقول: تبخل على نفسها من أجل ادخار المال وجمعه وتكديسه! بل من أجل استعماله فيما يرضي الله (وقد تحدثنا عن البخل ومساوئه)[1]. فمن تحافظ على أثاثها.. ففي ذلك اقتصاد.

ومن تعتني بالملابس فتجعلها أكثر لياقة بحسن رعايتها ففي ذلك **اقتصاد.** ومن تحسن اختيار السلع المتينة وتحسن صيانتها ففي ذلك **اقتصاد.**

ومن تربأ بنفسها أن تكون أضحوكة لوسائل الدعاية وخدعها التي تروج بها بضائعها، فتتعامل معها بوعي وحكمة ففي ذلك **اقتصاد.**

أما أن تتكدس دواليب الملابس بالكثير الكثير منها، حسب تجدد

---

(١) ينظر الفصل الثاني.

الموضات فذلك خبل وأي خبل... وأن يغير أثاث المنزل إرضاء للأذواق المتقلبة فذلك استهتار وأي استهتار... وفي هذا وذاك عبودية للعادات والتقاليد يحاسب المرء عليها:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن الله حرم عليكم: عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[1].

إن الأمم الواعية تهتم بميزانية الأسرة واقتصادها. مما جعل المرأة فيها تستفيد من كل السبل المتاحة لتنظيم إنفاقها... من كتب ونشرات مختلفة وأخيراً ـ الكمبيوتر ـ الذي تلجأ إليه لدارسة أفضل ما يناسب أسرتها، بالمقارنة مع ظروفها المادية... فهي أمينة على مال أسرتها.

ونحن وللأسف لا زلنا نحاول أن نقنع نساءنا بالإقتصاد، مع أن ديننا أمرنا به.. أمرنا بالاعتدال في أمرنا كله.. شعارنا قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسرَاء: الآية ٢٩].

وباختصار:

يجمع المال للأعمال الخيرة والمشاريع البناءة التي تفيد المسلمين، وتعمل على إعزاز دينهم ورقي أمتهم.

لا كمن تجمعه للصد عن سبيل الله، سواء بطريق مباشر، بتشجيع الباطل وأهله ودعمه مادياً وتسهيل سبله.

أو بطريق غير مباشر، بكونها الأنموذج السيىء حين تحولت بترفها إلى أداة تروج وسائل الفساد، أو تنقلب إلى شحيحة على بذل القليل... فينقلب ما كنزته من مال، إلى أداة لأشد أنواع العذاب وأكثرها إيلاماً يوم الحساب.

انظري إلى هذا التقريع المرير الأليم:

---

(١) متفق عليه، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١/ ٣٦٠.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: الآية ٣٥] .

نسأل الله أن يصلح النفوس التي قد استهانت بمهمتها، وتقاعست عن أداء حق الله في مالها.

وإياه ندعو أن يهدي المسلمة لتكون نبراساً يضيء للحائرات الطريق فتنفذ إلى قلوبهن بطيب كلامها وصدق فعالها.

فتصبح كما يريده الدين، معتدلة لا تشح ولا تتكالب على جمع المال، ولا تتهور فتبذر.

ونختم هذه الفقرة بهذا التوجيه النبوي الكريم.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات، وثلاث درجات:

فأما المهلكات: فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه.

وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضى والقصد في الفقر والغنى وخشية الله في السر والعلانية[1].

---

(١) من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط. وقال عنه الألباني: حديث حسن، ينظر صحيح الجامع، ١/ ٥٨٥.

٣ ـ التوسط والاعتدال في الإنفاق

للأخلاق حد، متى جاوزته صارت عدواناً. ومتى قصرت عنه صارت نقصاً ومهانة. وللحرص حد... وضابط هذا كله العدل. وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط[١].

وميزان الاعتدال نجده في آيات من كتاب الله العظيم، فهي القول الفصل في الإنفاق وغيره فقد قال تعالى:

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء: الآيات ٢٦-٣٠].

قال ابن مسعود رضي الله عنه أن التبذير هو الإنفاق في غير حق، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً. وقال قتادة: التبذير: النفقة في معصية الله وفي غير الحق والفساد[٢].

والشواهد على هذا المعنى كثيرة في كتاب الله تعالى منها قوله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٥] أي الفضل.

---

(١) الفوائد لابن القيم، ١٤١.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣/ ٤٢.

وقال جل من قائل مبيناً حدود التقوى في الإنفاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المائدة: ٨٧ ـ ٨٨].

وقال جل شأنه: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: الآية ٧].

إنه السخاء وجود المرأة بما تملك. لا تتكلف فوق طاقتها. ولا تبخل بما لديها بل تتصدق من النعم التي أفاض الله عليها. ترحم الخلق فيرحمها الخالق بإذنه وتحسن كما أحسن الله إليها.

وإني لأعجب ممن تغرق نفسها في النعيم الزائل، لكن إذا فتح لها باب النعيم المقيم تعللت بالأسباب الواهية، وأبدت الحاجة.

وعجبي يزيد ممن بخلت وشحت ورضيت لنفسها أن تكون حصالة تجمع ما يوضع فيها ولا يخرج منها!

وديننا قدر زكاة المال وفرضها بنسب.. في عصر لم يكن للإحصاء فيه سطوته بعد.

ولا زالت الأيام تشهد على عدالتها. ونعم دواء للفقر قد شخصه الشرع الحنيف. وفي ديننا الإسلامي تعاليم اقتصادية، ومفاهيم عملية تعين الأسرة على تخطي مشكلاتها الاقتصادية.

إن حسن التدبير مما يعيين على صلاح الأمور في الدنيا والآخرة. فما بالنا ونحن نسمع عن عجز الميزانية في عهد الوفرة؟! وذلك في كثير من الدول وكيف تستبيح المسلمة أن تسمع عن الوضع المالي المتردي؛ ثم لا تكون من المساهمات لتخطى الظروف الصعبة؟!

أم أن حياة المرأة أصحبت ـ وللأسف ـ مكاسب متوالية وليس لها إلى العطاء نصيب؟؟

إن عليها أن تعيد النظر في تصرفاتها المالية.

ولا يصح أن تقول: لقد اعتدت على نمط معين من الحياة، ولا أستطيع تغييره... إن عليها أن تعالج واقعها (المرضي) وتعمل على ترقيته وتحسينه.

وبالحزم والإرادة القوية يحدوها الإيمان العميق تغير المرأة عاداتها لتجاري الشرع، إنها تتعب في الدنيا لتسعد في دار الخلود.

أرى الدنيا لمن هي في يديه ... هموماً كلما كثرت عليه
تهين المكرمين لها بصفر ... وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغنيت عن شيء فدعه ... وخذ ما أنت محتاج إليه

نعم لو كان كل منا قد أخذ ما يحتاج إليه فقط، لعمت السعادة المجتمع بأسره، ولشاعت فيه المحبة والوداد وانعدمت الخلافات.

ولو أدى كل حق ماله لما بقيت حاجة. ولقضي على الفقر والتخلف ولما اجتاحت الأسر والمجتمعات الفتن التي يسببها الفقر.

فلا بد من تنظيم مالي للأسرة. تستيقظ فيه المرأة بعد إغفاءة. لتنفق بتعقل وتخطيط سليم واعٍ، بعيداً عن العشوائية في المشتروات. بل تحسن استغلال الموارد المتاحة لها. ولا تفرط في المظاهر، لأنها لا تجعل المال يتعدى مكانته... فتهلك كالغابرين كما ذكر الرسول ﷺ في حديث له: «**فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها. وتهلككم كما أهلكتهم**»[1].

(١) متفق عليه، ينظر شرح السنة، جـ١٤/٢٥٦.

٤ ـ ميزانية الأسرة

الآن وقد أصبحت الحقيقة واضحة جلية أمامنا، وعرفنا أوجه الصواب في الإنفاق. سنتعرف على خطوط عريضة للتخطيط له، وذلك من خلال **الميزانية المنزلية: وهي عبارة عن خطة مالية** تضعها الأسرة توضح فيها طريقة توزيع دخلها المالي على بنود الإنفاق المختلفة في فترة زمنية محدودة، قد تكون أسبوعاً أو شهراً أو سنة. وقد تمتد لأكثر من سنة ويتوقف ذلك على طبيعة دخل الأسرة وعلى أهدافها)[١].

ويجب على الأسرة عند تخطيطها لدخلها وميزانيتها أن تراعي ما يلي:

أ ـ مقدار الدخل.

ب ـ مواعيد الحصول عليه.

جـ ـ حالة ثباته وانتظامه.

إن هذه الأمور الثلاثة تفرض نفسها على كل أسرة... والارتجال يتعارض مع ميل الإنسان الغريزي إلى الاستقرار ورغبته الشديدة في وضع تنظيم لحياته في الفترة المقبلة منها)[٢].

ولا يقتصر هذا التخطيط على المرأة وحدها. فالرجل أيضاً ينظم أحوال مملكتة الصغيرة، بل إنه بحكم القوامة أكثر مسؤولية من المرأة.

فقد قال علي بن أبي طالب لأمه: اكفي فاطمة (زوجه وابنة الرسول ﷺ) الخدمة خارجاً وتكفيك هي العمل في البيت والعجن والخبز والطحن)[٣].

---

(١) مدخل في الاقتصاد المنزلي، ٣٣٦.

(٢) مدخل في الاقتصاد المنزلي، ٣٢٢.

(٣) رجاله ثقات، سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٢٥.

قد يقال: وهل هذا يعني أن يعيش الأحفاد كعيش الأجداد، ونحن في عالم متطور نام؟!

لا يظن أحد أن هذه بغيتنا، وهل سيعود الأحفاد إلى استعمال الحطب أو الكيروسين؟ أم هل تغسل المرأة الثياب باليد وتنير البيت بالمصباح الزيتي؟! أو... أو...

لا هذا ولا ذاك. هناك ثوابت ومتغيرات...

فأمور التكنولوجيا المتغيرة المتطورة، لا مانع من استعمالها بتوسط واعتدال حسب الحاجة. أما القيم الدينية الثابتة فلا تتغير بتغير الزمن.

وعند وضع الميزانية المنزلية، يؤخذ في الحسبان مهارات المرأة وقدراتها.. إن القدرات والمهارات عامل حاسم في تحديد مستوى الأسرة، فإذا كانت الأسرة موسرة، استخدمت ربة البيت قدرتها ومهارتها لتوفير نفقات كانت ستدفعها أجراً لإنجاز الأعمال.

أما إذا كانت الأسرة فقيرة، أمكن ربة البيت أن تستخدم قدرتها ومهارتها لتحقيق دخل إضافي لأسرتها..

وتعتبر الكفاءة في التصرف من المهارات والقدرات، فحسن التصرف الذي يعتمد على الذكاء وسرعة البديهة وصدق الإلمام بالموقف، قدرة ومهارة لا شك فيها.

وهي تكتسب بالخبرة والتجربة. ويمكن اعتبارها مورداً بشرياً غير منظور لأن ربة البيت بحسن تصرفها تستطيع أن توفر كثيراً من النفقات. وتنقذ مالية الأسرة من نفقات يتسبب فيها سوء التصرف[1].

فمثلاً إهمال أدوات المنزل وأثاثه، يكلف الأسرة نفقات باهظة وشراء

---

(١) مدخل في الاقتصاد المنزلي، ٣١٠ ـ ٣١١.

فمثلاً إهمال أدوات المنزل وأثاثه، يكلف الأسرة نفقات باهظة وشراء وجبات الطعام الجاهزة بلا مبرر يربك ميزانية الأسرة، رغم عدم جودة تلك الوجبات إذا قيست بإعداد الطعام داخل البيت. فكم من امرأة أسعدت أسرتها بحسن تدبيرها. وكم من امرأة عابثة حطمت دخل الأسرة وألحقت بها الفقر والعوز!

لنكن واقعيات، إن التغيير الجذري لسلوك المرأة لن يتم بين عشية وضحاها. فالموروثات الجبلية عندها، والمؤثرات البيئية، لن تذهبها رسائل عديدة لا رسالة كهذه.

لكن من نفسها يبدأ التغيير. **فإذا اقتنعت المرأة بضرورته، فذلك يسهل** مهمتها فتغير طريقها إلى الأفضل ولو على مراحل...

وإن فشلت مرة فلن تفشل في غيرها بإذن الله. وهكذا يصلح المعوج وتستقيم طريقتها في الإنفاق.

فالمرأة المدبرة: تخصص مبلغاً معيناً لكل بندٍ من المصروفات.

وتضع لأسرتها نظاماً غذائياً على أسس صحية متوازنة، تضمن الراحة والسعادة. وتهتم فيه بغذاء الجميع الكبار منهم والأطفال والمرضى. تحفظ الأطعمة بطريقة سليمة ـ وتتعرف على طريقة خزنها حتى لا تتعرض للتلف، ومن ثم تعمل تفتيشاً يومياً لما عندها من أطعمة حتى لا تفسد كل ذلك باعتدال، بلا إسراف ولا تقتير، فتحسن بذلك الاستفادة مما لديها بحسن صنعها وحفظها.

هذا بالنسبة للطعام.

أما بالنسبة للثياب والمظاهر وما يتبع ذلك من التسوق: فيحسن البعد عن

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة، ينظر صحيح الجامع، ٢/١٠١١.

كما وأنها تجتهد في اختيار السلعة الأنسب من حيث المواصفات وكذلك من حيث الثمن. فلا تشتري الأغلى إذا كان يغني عنها الأقل ثمناً.

هذا مع الأخذ بعين الاعتبار البعد عن عادات التجول في السوق والسير وراء الدعايات. ولو وضعت المسلمة نصب عينيها حديث الرسول ﷺ «**وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**» أخرجه مسلم.

لأقلعت جهدها عن التسوق، فضلاً عن التجول في الأسواق، ومخالطة الرجال، ولا يكون ذلك إلا عند الضرورة القصوى. وحينما لا يوجد محرم يقوم بذلك...

وبعد ذلك تعمل المرأة جهدها للاستفادة من الخامات البيئية، فاللمسات الجمالية تجعل من الأشياء البسيطة والتي كانت تعتبر في حكم التالفة تجعلها صالحة ومفيدة.

أختي المسلمة:

التخطيط أمر مهم في حياة الإنسان...

فإلى الميزانية المنزلية المناسبة. حيث تبينين فيها متطلبات الأسرة المختلفة من طعام وكساء ومستلزمات منزل من أواني وأدوات تنظيف وغيرها إلى مصروفات شخصية مناسبة. **ولا تنسي ضرورة الإدخار لتسديد الديون إن وجدت أو للتوفير للظروف الطارئة. وأخيراً. أرجو أن تجعلي للفقراء نصيباً في ميزانيتك واعلمي: «ما نقصت صدقة من مال»**[1].

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي عن أبي هريرة، ينظر صحيح الجامع، ٢/ ١٠١١.

الخاتمة

وأخيراً:

لن أدعي أني قد وفيت الموضوع حقه. فهو يستحق منا الكثير لكن هذا ما أمكنني التنويه به.

ولعلي أكون قد لفت نظر أخواتي إلى واقعنا المعاصر، وما نحن فيه... إن مستوى الإنفاق العالي يهدر طاقات الأمة، وينهك اقتصادها... ولن تجدي الصيحات العالية المخلصة التي تدعو إلى تخفيف الإنفاق، إن لم تلق آذاناً صاغية، وقلوباً واعية من النساء خاصة.

فإذا ساهمت كل منا بواجبها، وأصلحت نفسها، فجلست جلسة مصارحة بينها وبين النفس التي بين جنبيها...

فعدلت المائل، وقومت المعوج، وهذبت التصرف الأخرق، وآثرت على نفسها، وبادرت إلى العمل الصالح بنفس راضية مطمئنة...

وتحملت شظف العيش بنفس قانعة محتسبة الأجر العظيم... وحفظت الزوجة مال زوجها وبعد استئذانه وضعت كل قرش في موضعه المشروع... ولم تتجنّ المرأة على مالها فتتلفه بأوهى الأسباب، فالمال مال الله، وبه تتمتع بحدود الحلال، تقتصد ولا تبذر، تبتعد عن الشح. وتؤدي حق الله في مالها... بعد ذلك كله فإن المرأة، تنعم برضى الله عز وجل، وتزداد الألفة في المجتمع، وينمو الوداد فيه ويرقى ويسود حاملاً راية الإسلام وهديه.

وفي تلك التصرفات الواعية، تساهم المرأة في بناء المجتمع اقتصادياً واجتماعياً، وذلك بحسن سياستها للمال. وحكمتها الحسنة في تدبيره. وقبل ذلك، تكون قد بنت أسرة مستقرة هانئة وادعة، في عصر كثرت فيه العواصف

الاجتماعية الهوجاء، وتقلبات الاقتصاد المريرة.

ولا تخص المسؤولية المرأة وحدها. بل إن الرجل (رب الأسرة) يتحمل العبء الأكبر منها بحكم القوامة التي منحه الله إياها.

لا بد من حسن التخطيط والتدبير يشترك فيه كل من الرجل والمرأة. وينعمان بما أفاض الله عليهما من خيراته. مع الاستغناء ما أمكن عن الاستهلاك غير الضروري. فذلك الاقتصاد يعينهم بعد الله في نوائب الأيام وعند زوال النعم.

ورب امرأة صالحة نفعها المال، فوفقها الله إلى إنفاقه في وجوه الخير ووضعه في مواضعه التي ترضيه (عز وجل) وابتغاء وجهه الكريم... ورب مستهترة، أمسكت المال وشحت به نفسها وبخلت حتى بالقليل القليل على أقرب المقربين فكان وبالاً عليها...

ورب حمقاء طائشة، بعثرت المال، فندمت حيث لا ينفع الندم...

والله سبحانه نسأل أن يجعل المال في أيدينا لا في قلوبنا. وأن يوفقنا إلى وضعه في مواضعه المشروعة، وأن يبارك لنا فيه، ويرزقنا شكره. وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم .

- إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي نشر دار الحديث، القاهرة/ط١/ ١٤١٢هـ.
- أدب الصحبة بين النساء: خولة درويش، نشر دار المحمدي، ط١، ١٤١٩هـ. جدة.
- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- البداية والنهاية: للحافظ ابن كثير، نشر دار الفكر ١٣٩٨.
- الترغيب والترهيب: للحافظ زكي الدين المنذري، مطابع قطر الوطنية، الطبعة الثالثة.
- تفسير القرآن العظيم: للحافظ عماد الدين ابن كثير الدمشقي، نشر دار السلام بالرياض ودار الفيحاء بدمشق، ط١، ١٤١٣هـ.
- تهذيب مدارج السالكين: كتبه ابن القيم وهذبه: عبد المنعم صالح العزي نشر مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤١٢هـ.
- حياة الصحابة: للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، نشر دار القلم، دمشق ودار المنارة جدة.
- خديجة بنت خويلد الداعية الواعية: لخولة درويش، نشر دار الرسالة الطبعة الأولى.

- زاد المعاد: للحافظ ابن قيم الجوزية، نشر دار الفكر.
- سير أعلام النبلاء: للإمام الذهبي. نشر مؤسسة الرسالة بيروت.
- شرح السنة: للإمام البغوي. تحقيق الشاويش والأرناؤوط، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، نشر وتوزيع إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي ببيروت ودمشق، ط ٢، ١٤٠٦هـ.
- صفة الصفوة: للإمام ابن الجوزي، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢.
- صلاح الأمة في علو الهمة: د. سيد بن حسين العفاني، ط٢، ١٤١٨، مؤسسة الرسالة.
- الفتاوى: لابن تيمية، ترتيب عبد الرحمن بن محمد القاسم، إشراف المكتب التعليمي السعودي بالمغرب.
- فتح الباري: لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الفكر.
- الفوائد: لابن القيم الجوزية، دار الراية للنشر، ط١، ١٤١١هـ.
- في ظلال القرآن: سيد قطب، نشر دار الشروق، ط٩، ١٤٠٠هـ.
- عمر بن عبد العزيز (الخليفة الزاهد): تأليف عبد العزيز سيد الأهل، نشر دار العلم للملايين، بيروت.
- عمل المرأة في الميزان: الدكتور محمد علي البار، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، الدار السعودية للنشر، جدة.
- عيون الأخبار: تأليف ابن قتيبة الدينوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤١٨هـ.

- مدخل في الاقتصاد والمنزلي: دكتورة تسبى محمد لطفي ودكتوره إيزيس عازرنوار دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٧م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية استامبول.
- الموضة في التصور الإسلامي: الزهراء فاطمة بنت عبد الله، نشر مكتبة السنة في القاهرة، ط١، ١٤١١هـ.
- المغني: لابن قدامة المقدسي، نشر مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠١هـ.
- مجلة المجتمع الكويتية.

صدر للمؤلفة الكتب التالية

١ - الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة، مكتبة السوادي، جدة.

٢ - سلسلة الأسرة المسلمة: نشر دار الرسالة، صدر منها:

أ - التربية في ظلال الإسلام.

ب - أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

ج - ألعاب الطفل المسلم.

٣ - سلسلة الأسرة المثالية: نشر دار المحمدي بجدة، ومنها:

أ - الزوجة المثالية.

ب - البنت المثالية.

ج - السلوك المثالي للطلفل المسلم.

٤ - إليك أختي المربية، نشر دار طيبة الرياض، ودار المحمدي جدة.

٥ - القرآن الكريم معلمي: تعليم الطفل وتهذيبه وتسليته، نشر دار الطرفين: الطائف.

٦ - آدب الصحبة بين النساء: نشر دار المحمدي، جدة.

٧ - حكايات أطفالنا في رحاب الإسلام: ثلاث مجموعات قصصية نشر دار طيبة ودار الرسالة.

أ - غرفة الحارس وقصص أخرى.

ب - فائز أم محظوظ وقصص أخرى.

ج ـ البطر يذهب النعم وقصص أخرى.

٨ ـ حكايات فتيان المستقبل: الحلم الجميل ودموع التماسيح. نشر دار المعالي عمان.

٩ ـ حكايات الأيام: بستان أبي مداهن والمحسنة الصامتة. نشر دار المعالي عمان.

١٠ ـ رجالنا العظماء: الخليفة العادل (المعتضد بالله) وفتى بخارى وقصة محمود يحطم الصنم ـ والعالم النبيل ـ (دعلج السجستاني). نشر دار المعالي عمان.

١١ ـ القلب العامر قصص أخرى: نشر دار طيبة كذلك دار الرسالة مكة المكرمة.

١٢ ـ المخادع وقصص أخرى: مكتبة الكوثر، الرياض.

١٣ ـ معاناة معلمة (قصة تربوية هادفة) نشر المحمدي.

١٤ ـ تربية الأطفال في رجاء الإسلام؛ بالاشتراك مع الأستاذ محمد الناصر. نشر مكتبة السوادي جدة.

١٥ ـ تربية المراهق في رحاب الإسلام؛ بالاشتراك مع الأستاذ محمد الناصر. رمادي للنشر.

١٦ ـ تربية الموهوب في رحاب الإسلام؛ بالاشتراك مع الأستاذ محمد الناصر.

١٧ ـ المرأة بين الجاهلية والإسلام؛ بالاشتراك مع الأستاذ محمد الناصر. دار الرسالة، مكة المكرمة.

١٨ ـ الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام؛ بالاشتراك مع الأستاذ محمد الناصر. دار عالم الكتب بالرياض.

الفهرس

الفصل الأول: فلسفة المال في الإسلام

١ ـ تعريف المال واستعمالاته الشرعية ١١

٢ ـ المال ليس دليلاً على محبة الله تعالى لعبده ١٤

٣ ـ المال يستهوي النفوس إلا المتقين ١٩

٤ ـ حقوق المرأة المالية في الإسلام ٢١

٥ ـ الحجر ٢٥

الفصل الثاني: آداب المرأة المسلمة في الفقر والغنى

١ ـ البخل مهلكة ٣١

٢ ـ صور قاتمة للبخل في حياتنا المعاصرة ٣٧

٣ ـ كيف يعالج البخل؟! ٤٢

٤ ـ من آدب المرأة الفقيرة ٤٦

٥ ـ الترف ومساوئه في حياة المرأة المسلمة ٥٣

ـ أضرار الترف على المرأة وعلى أسرتها ٥٣

ـ آثار التبذير على المجتمع ٥٧

٦ ـ صور قاتمة للإسراف ٦٤

٧ ـ من آداب المرأة الغنية ٧٢

٨ ـ إنذار من النذير المبين ٨٢

الفصل الثالث: الإنفاق وأعمال البر

١ ـ نحو الاعتدال يا إماء الله ٨٧

٢ ـ أولويات الإنفاق ٩٢

٣ ـ نحو ترشيد الإنفاق والصحوة النسائية ٩٨

٤ ـ صور من أعمال البر ١٠٤

٥ ـ واجبات الرجل نحو أهله ١١٠

الفصل الرابع: صور مشرقة لإحسان المحسنات

١ ـ نظرة خير نساء العالمين إلى المال ١١٧

٢ ـ الإيثار من أبرز سمات المؤمنات ١٢٠

٣ ـ نماذج رائعة لبذل المرأة المسلمة في تاريخنا الزاهر ١٢٥

٤ ـ السعادة الحقيقية ١٣٣

٥ ـ أهي دعوة للتقشف؟! ١٣٧

الفصل الخامس: ميزان الاعتدال

١ ـ الزهد المشروع ١٤٣

٢ ـ مفهوم الاقتصاد والتوفير على ضوء الإسلام ١٤٨

٣ ـ التوسط والاعتدال في الإنفاق ١٥٥

٤ ـ ميزانية الأسرة ١٥٨

الخاتمة ١٦٢

المراجع والمصادر ١٦٥